للكاتبة /
نصى طارق
رواية
شجرة شاكر باشا

إهداء:

إلى نفسي التي برغم كل شيء لازالت تعافر!

وإلى كل من قدم لي الدعم،

وإلى كل من آمن بي وبنجاحي.

إلى صديقتي الجميلة "ميرنا محمد" التي ساعدتني طوال فترة كتابتي وتحديدًا لهذه الرواية، شكرًا لكِ على دعمك المستمر لي.

«المقدمة»

جمل وكلمات وحروف مبعثرة داخل كتاب، تحاول فهم ما الغرض منهم؟!

لكنها كلما تنتهي من لغز تصطدم بالآخر، هل الكتاب معقد لهذه الدرجة أم هناك ما يشغل تفكيرها عنه؟

معه وليس معه! هي فقط تود حلًا؟

والحل بين يديها لكنها لا تراه!

أو قد تكون رأته لكنها كانت في حالة سهو عنه!

وليس هناك حل غيره!!

لكن في النهاية القدر سيضع بصمته.

فصل 1

"سنستأجر المنزل مؤقتًا"

رائحة المخبوزات الشهية، كانت فَوَّاحة للغاية، فظهر أثرُها منتشرًا بداية من أسفل درجة بالمنزل لأعلى درجة به، رائحة قهوة لذيذة امتزجت مع رائحة المخبوزات؛ لتصنع تميُّزًا خاصًا لسكان هذا المنزل، ودفء كبير يغمره، صوت أم كلثوم كان يدوي داخل الغرفة بأحد أغانيها الرائعة:

رجعوني عينيك لأيامي اللي راحوا
علموني أندم على الماضي وجراحه
اللي شفته قبل ما تشوفك عينيا
عمر ضايع يحسبوه إزاي عليّا
اللي شفته، اللي شفته قبل ما تشوفك عينيا

عمر ضايع يحسبوه إزاي عليّا
اللي شفته قبل ما تشوفك عينيا
عمر ضايع يحسبوه إزاي عليّا، عليّا
اللي شفته قبل ما تشوفك عينيا
عمر ضايع، ضايع يحسبوه إزاي عليّا
إنت عمري، إنت عمري اللي إبتدى بنورك صباحه
اللي إبتدى بنورك صباحه
إنت، إنت، إنت عمري

ومن خارج الغرفة أطلت برأسها قليلًا؛ لتنظر داخل الغرفة تتعرف بعينيها على مَنْ تحوي بداخلها، وجدت جدتها تجلس على أريكتها العريقة، ترتدي نظارتها الطبية وبين يديها كتاب تقرأه بتركيز، وبجوارها قهوتها الخاصة بالبندق يتصاعد منها الأبخرة؛ لتدل على مدى سخونتها، وقطعتان من المخبوزات على طبق صغير، زمت جانب شفتيها ، كيف ستخطو هي الأن لداخل الغرفة، وتصل لتلك المكتبة العملاقة التي حذرتها من القرب منها مرارًا وتكرارًا؟!

توقفت تتنفس الهواء بعمق شديد وتزفره بضيق، منذ ثلاث ساعات أو يمكن أكثر، أتت إلى هنا، وكانت تجلس جدتها نفس جلستها تلك، متى ستغادر الغرفة لقد سئمت هي حقًا! شعرت بشخص ما خلفها، فالتفتت سريعًا بخضة، وعندما وجدت والدتها تنفست براحة وقالت:

_هذه أنتِ أمي، لقد شعرت بالفزع حقًا!

نظرت والدتها داخل الغرفة، لتجد والدة زوجها على نفس وضعيتها، لتعاود النظر جهة ابنتها وتقول بحدة:

_لماذا تتوقفين هكذا كما لو كنتِ لصًا؟ ألم أحذرك من عدم المجيء إلى هنا و جِدتك بالداخل، فإذا شعرت بالانزعاج حولها لن يمر اليوم بسلام!

نظرت الفتاة نحو ساعة يدها ثم تقلصت ملامح وجهها بالضيق ونظرت لوالدتها وهي تشير بيدها نحو الغرفة وقالت في انزعاج:

_أنا المنزعجة حقًا أمي، أصبحت الساعة السابعة والنصف، وهي لازالت بالداخل، بل وطلبت فنجان قهوة جديد منذ دقائق قليلة، وترتشفه الآن، هذا يعني استمرار وجودها بالداخل لمدة أكبر، إلى متى يجب عليَّ الانتظار لقد مللت، أمي أود أن استعير كتابًا واحدًا فقط، وسأغادر غرفتي لأقرأه هناك وأعيده إلى موضعه غدًا.

ربتت والدتها على كتفها بهدوء ثم تحدثت بما تعلمه هي ولا تحتاج للمزيد من سماعه:

_جميلة يجب أن تنتظري حتى تنتهي جدتك من القراءة، وتغادر الغرفة لأنها لن تسمح لكِ باستعارة أي كتاب آخر، تتذكرين جيدًا ما فعلتيه بآخر كتاب استعرتيه من هنا، وعندما رأته جدتك جن جنونها، وأخبرتِك هي بعدم لمس أي كتاب آخر، تعلمين تمام العلم مدى أهمية تلك المكتبة وما تحويه بداخلها من كتب عند جدتك ومع ذلك أهملتي الكتاب ووقع عليه القهوة وأصبح به علامة أثرها ظاهر للغاية ولن ينمحي، لذلك لا داعي لفعل مشاجرة جديدة بينك

وبين جدتك عودي إلى غرفتك وعندما تغادر جدتك الغرفة تعالي إلى هنا.

زمت جميلة شفتيها، ودبت الأرض بقدميها بمنتهى الانزعاج، ونظرت نحو الغرفة بحسرة ثم نظرت نحو والدتها وقبل أن تتحدث إليها استمعت لصوت جدتها يأتي من الداخل.

_تعالي إلى هنا أيتها الفتاة العنيدة، أعلم أنكِ لن ترتاحي وستظلي تثرثرين حتى تأخذي ما تريدين

هزت والدتها رأسها وابتسمت بسمة صغيرة وأشارت لابنتها بيعينيها أن تذهب لجدتها وتحركت هي تغادر من أمام الغرفة فرمشت جميلة بعينيها ثم مالت قليلًا وأطلت برأسها تنظر نحو جدتها بالداخل وقالت وهي تشير لنفسها ببلاهة وضحكة صغيرة:

_تتحدثين عني جدتي؟

رفعت جدتها حاجبيها، وقالت بابتسامة صغيرة ارتسمت على شفتيها مع تضييق صغير لعينيها، أظهر بعض التجاعيد بوجهها، الذي مازال يحمل ملامح الجمال و الوقار معًا، وقالت:

_أيتها المغادعة هل ترين أحدًا غيرك هنا، تعالي إلى هنا أمامي أم أنكِ لا تريدين كتابًا؟؟

ابتسمت بمرح عند سماع جملة جدتها، وعند ذكرها لكلمة الكتاب؛ تحركت جميلة سريعًا نحو الداخل وتوقفت أمام جدتها وقالت بحماس ظهر واضحًا في نبرة صوتها:

_حقًا ستسمحين لي باستعارة كتاب جدتي؟

ابتسمت جدتها وهي تنظر لها ثم قالت بحنان:

_تعشقين الكتب مثل جدتك، لكنكِ لستِ مرتبة ومحافظة عليهم مثلي، بل مهملة للغاية!

زمت جميلة شفتيها وكانت تحرك قدمها وترسم خطوط وهمية بها بحركة اعتادت عليها ثم نظرت لجدتها وقالت بأسف:

_أعلم مدى أهمية تلك الكتب لكِ، لكنني لم أقصد أبدًا دلق القهوة على الكتاب، كنت أضع الكوب فتزحزح قليلًا وانزلق فوق الكتاب!

تنهدت جدتها ببطء ثم امسكت كوب القهوة وارتشفت منه القليل وأعادته بعدها لمكانه وعاودت نظرها نحو جميلة وقالت بابتسامة:

_انتهينا مما حدث، يمكنك استعارة أي كتاب تشاءين فسمحت لكِ بهذا، فقط انتبهي لهم جيدًا، وتلك المرة أريد أن أخبرك أنا باسم كتاب لتقرأيه حسنًا؟

ضمت جميلة حاجبيها بتعجب شديد وقالت باستغراب:

_لماذا تودين اليوم تحديدًا أن تختاري لي ما سأقرأه جدتي؟

ابتسمت الجدة بسمة صغيرة وقالت بهدوء شديد:

_سأخبرك عندما تنتهين منه!

هزت جميلة كتفيها بيأس، وقالت في محاولة لإلقاء فضولها بعيدًا الآن:

_اتفقنا، ما هو هذا الكتاب أو ما اسمه؟

توقفت جدتها حتى يصبح وجهها مقابل لتلك المكتبة العملاقة ثم أشارت بيدها وهي تتحدث وقالت:

_هناك على الرف الثاني من الجهة اليمنى للمكتبة، يمكنك الصعود على هذا السلم حتى تصلين له، ستجدين بهذا الرف كتابًا بني اللون، غلافه سميك للغاية، مدون عليه اسم "شجرة شاكر باشا"، هذا الكتاب الذي يمكنك استعارته الآن.

قالت جدتها تلك الجملة وبعدها تحركت نحو المكتبة، ووضعت الكتاب الذي كان بحوذتها بداخلها ثم غادرت الغرفة بهدوء.

كانت جميلة لازالت تقف محلها تضم حاجبيها بصمت وبعد مرور دقائق قليلة قالت بتعجب:

_أليس شاكر باشا هذا هو نفسه جدي الكبير؟ أم هذا مجرد تشابه فقط! لماذا أُحير نفسي فيمكنني أخذه الآن حتى أعلم!!

تحركت سريعًا بحماس نحو السلم الخشبي الموضوع أمام المكتبة، ثم صعدت عليه درجة تليها الأخرى حتى وصلت للرف المطلوب، أخذت تقلب بين الكتب حتى عثرت على الكتاب المطلوب، فسحبته ببطء حتى لا تقع بقية الكتب التي بجواره، وتسبب فوضى كبيرة تحرمها من قراءة الكتب بقية حياتها، ابتسمت بمرح على تفكيرها وهي تنزل درجات السلم وبيدها هذا الكتاب.

تحركت بهدوء حيث موضع جدتها المفضل، هذا الكرسي الأثري العريق الذي تفضله دومًا ك جدتها، حقًا هي تشبهها في كثير من الأشياء

وخاصة حب تلك الأشياء الأثرية والعريقة والزوق الكلاسيكي الهادئ!

تنهدت تنهيدة بسيطة مع بسمة صغيرة ارتسمت على ثغرها وهي تفتح أول صفحات الكتاب حيث وجدت المقدمة

" تظل شمسُنا غائبة في إحدى فترات حياتنا، نعيش بها حياة مظلمة، معتمدين على نور طفيف للغاية، قد ينطفئ في أي لحظة، حدائقنا تعيسة، ورودها منطفية، أشجارها بأوراق زابلة، نحارب مع الحياة حتى تمر بسلام، وفجأة يمر بنا يوم يختلف عن بقية الأيام، وهو اليوم الذي نلتقي به بشمس حياتنا الضائعة، و عن ذكر خاص شمس حياتي أنا، التي حولت كل أيامي المظلمة لنور ساطع، وتحولت حدائقي للزهو من جديد، لتعيد الحياة للورود وتزهى، لتصبح نقطة انتقال فاصلة في يوم وليلة، و أُصبِح هذا الشخص الذي أنا عليه الآن، و هذه النسخة الأفضل مني.

أنا شاكر الزيّاد "

توقفت لثواني تستوعب ما قرأت شاكر الزيّاد هو جدها المتوفي، جد والدها بمعني أصح!

نظرت جميلة للكلمات مرة أخرى ومن ثم اسم جدها، وبعدها تذكرت جملة والدها حين حاولت معرفة منه ما قصة الحي الذي يعيشون به، وقصة هذه الأشجار الكثيفة، ولم يخبرها بشيء غير أن جده شاكر هو السبب في هذا، أغلقت الكتاب وضمت حاجبيها وقالت بهمس لنفسها:

_أشعر أنني بدأت استيعاب بعض الأشياء، جدتي كانت دائما تقول أن قصة هذا الحي بدأت منذ زواج جدي الكبير شاكر باشا بحبيبته جميلة التي سميت أنا على اسمها، أيضًا تذكرت حديثها عن الحدائق التي كانت تحبها للغاية وهناك شجرة كبيرة قد زرعها خصيصًا له، وكانت ترويها دائمًا وتعتني بها، وبعد ذلك قام هو بعمل منزل كبير بجوار تلك الشجرة!! أليس هو منزلنا الآن؟؟

صمتت قليلًا وعيونها تضيق مع تقارب حاجبيها وهي تفكر بالأمر وتحاول ترتيب كلام والدها مع كلام جدتها، فشهقت وهي تقول:

_هذا يعني أن جدي حوّل هذه الحدائق لتصبح الآن هذا الحي الذي نعيش به؟!

****

صوت القرآن كان يصدح داخل الشقة بأكملها، وكانت هي تقف بالمطبخ تطهو الطعام وعقلها مشتت، تفكر في الأمر مرارًا وتكرارًا، هل تسمع كلام زوجها أم تُكَذِّب عليه وتحادث والدها وتخبره بما حدث معهم، لكن إذا علم خالد زوجها بالأمر سيفعل معها مشكلة كبيرة وقد يجعلها تذهب لبيت والدها، والأسوأ إن أخبرها أن تذهب للأبد، فالموضوع من هذه الناحية حساس له وبشدة، خاصة أن والدها قد قاطعها من بعد تصميمها على الزواج منه ورفضه للأمر، لكن في النهاية تزوجته وانتهى الأمر، لماذا لا يتقبل والدها هذا الزواج لكي ترتاح هي! تنهدت ودعت بداخلها أن يعود زوجها

بخير ومعه خبر جيد بأنه قد وجد شقة ينتقلون إليها وإلا سيمر اليومان الآخران بقية المهلة التي أعطاها لهم صاحب الشقة وهم لم يجدوا واحدة بعد!

أطفأت النار على الطعام وتحركت لترى ابنها صاحب الست أعوام حيث وضعته على الأريكة أمام التلفاز نائم، وجدته نائمًا كما تركته، تحركت وجلست بجواره وأخذت تحرك يدها داخل شعره بحنان حملته ببطء ثم تحركت تنقله على السرير داخل الغرفة، وهي بالداخل استمعت لصوت غلق باب الشقة، فعلمت أن زوجها قد عاد، فخرجت لتراه فوجدته يلقي مفاتيح الشقة بهدوء ثم توجه حيث غرفتهم، تحركت خلفه سريعًا وقد علمت من هيئته أنه لم يجد شقة بعد!

جلس على السرير ووضع كلتا يديه على وجهه وتنهد بثقل، فاقتربت منه ووضعت يدها على كتفه وقالت بنبرة هادئة حانية:

_ستفرج بإذن الله لا تقلق ولا تحمل نفسك فوق طاقتها أيضًا، إن بعد العسر يسرًا إن شاء الله.

تنهد خالد بقوة ثم رفع رأسه نحوها وقال بتعب وإرهاق:

_لا أعلم متى ستفرج؟ الرجل سيأتي بعد يومين لكي يستلم شقته، وأنا حتى الآن لم أجد واحدة بعد، كل ما وجدتهم أصحابهم يريدون مبلغًا كبيرًا ك ضمان مقدم لهم وغير ذلك إيجارهم مرتفع للغاية!

تحركت وجلست بجواره على السرير ثم بلعت ريقها بتوتر وهي تحاول أن تنتقي كلمات تخبره بها بما تفكر به، تنهدت تنهيدة عميقة ثم نظرت نحوه وقالت بنبرتها الهادئة:

_خالد من الممكن أن أتحدث مع أبي هو مستحيل أن يت...

قاطعها خالد عندما ألتفت نحوها سريعًا وقال بحدة وضيق:

_ملك!! هل تري أن هذا وقت مناسب لكي نتشاجر فيه سويًّا؟! تعلمي أنه رافضني تمامًا ولا يُحدثك

بسبب زواجك مني ومعارضتك له أيضًا، وبالنهاية بعد كل ذلك تذهبين أنتِ وتقولين له أبي ساعدني أنا وزوجي سيتم طردنا من الشقة، كان معك كل الحق هو لا يجوز لي ولا يقدر على حمل مسؤوليتي أنا وابنه جيد هذا أليس كذلك؟!

هزت ملك رأسها سريعًا تنفي حديثه، وقالت تبرر حديثها حتى لا يفهم مقصدها خطأ تمامًا:

_لا يا خالد أقسم لك أنا لم أقصد ذلك أبدًا، أنا فقط قصدت أنه يمكننا أن نذهب ونقوم بتأجير شقتي التي عند أبي، فهو خصص لي ولأخواتي شقة لكل واحدة منّا، وإذا حدثته بالأمر بالتأكيد لن يرفض.

توقف خالد وقال وهو يتوجه نحو الخزانة بنرفزة:

_لكن أنا رافض للأمر تمامًا، ومن الأفضل أن نغلق الحديث بهذا الموضوع؛ لأن نهاية الحديث به لن ترضيكي ولن ترضيني كذلك، وقلت لكِ سابقًا وسأعيد حديثي، إذا كنتِ تودين الذهاب لوالدك فلن أمنعك أبدًا يا ملك، هذا والدك وبيوم من الأيام سوف تتصالحين معه سواء وافق عليَّ أم لا،

وأتمنى أن لا نعيد حديثنا بهذا الموضوع مرة أخرى؛ لأنه لن يتغير قراري به.

هزت ملك رأسها وتحركت نحو الخارج وهي تقول بنبرة منخفضة:

_حسنًا يا خالد كما تريد.

غادرت من الغرفة نحو المطبخ، وزفر هو بضيق ثم خلع القميص الذي يرتديه وألقاه على السرير بنرفزة ثم عاود الجلوس على السرير مرة أخرى، لا يعلم ماذا يجب عليه أن يفعل، وما ذنبه هو ليس بيديه شيء ليفعله! هو وحيد ليس لديه أحد والده ووالدته متوفيين وله خال واحد يعيش خارج البلاد كل الحمل يقع على عاتقه هو فقط!

أغمض عينيه لثوانٍ ثم توقف بعدها وأخرج شيئًا يرتديه من الخزانة ثم أغلقها وتوجه نحو المرحاض ليغير ملابسه.

****

فُردت ستائر الظلام؛ لتعلن عن قدوم الليل، هواء قوي تهتز على أثره النباتات و الأشجار والنخيل، لتميل يمينًا ويسارًا بنعومة، ويتشكل هذا المظهر البديعي، ولولا أنه مندمج الأن برسم تلك اللوحة التي أمامه لكان بالتأكيد لن يترك فرصة ك تلك لرسم ذلك المنظر البديع، ابتسامة هادئة ارتسمت على ثغره وهو يجول بعينيه على الرسمة، وبالفعل كانت الرسمة رائعة بحق يكفي أنها فُعلت بكل الحب الذي يحمله بقلبه حتى يستطيع رسمها، رسم تلك التي لم تكتفي بالاستحواذ على قلبه بل جعلته متيم بها، ويهيم عشقًا بملامحها، لم يكن يتوقع يومًا أن يقع بالحب من الأساس، والأن وصل لمرحلة هو نفسه غير مصدقًا لها، لكن لا بأس لأجلها هي فقط كل شيء مباح!

ترك كل شيء من يديه وسحب المعطف الذي يرتديه عليه أكثر يشعر أن البرودة أصبحت أشد،

نظر في ساعة يده وجدها الحادية عشر والنصف تقريبًا، نظر أمامه جهة اليمين حيث منزله الصغير الذي يعيش به وحيد وتنهد بقوة سينتظر نصف ساعة أخرى ثم يدخل!

أخذ دفترًا كبيرًا من جواره وفتحه كان يحتوي على ظرف مغلق، قام بفتحه وأخذ الجواب من داخله، ابتسم بعذوبة هذا خامس جواب يصله منها، والذي سيرد عليه بقرار زواجه منها، نعم لقد أتخذ القرار و أخيرًا بالتأكيد ستفرح، فتح الجواب ببطء وبدأ يقرأ ما دونته من كلمات له

"عزيزي شاكر أتمنى أن تكون بخير، سامحني لعدم مراسلتي لك طوال الشهرين الماضيين، لقد كنت في عطلة مع عائلتي، سافرنا إلى الأسكندرية وانهمكت مع عائلتي في عدة مشاغل و أنت خير من يقدر لي الأمور، لو تعلم كم اشتقت حقًا للحديقة وللزهور الحمراء التي تحبها أنت من أجلي، واشتقت لشجرتنا الصغيرة التي وعدتني أن تبني بيتنا بجوارها، أود أن أخبرك أيضًا أنني وجدت فكرة

مزهلة للغاية لبناية منزلنا الذي سيكون في غاية الجمال كما أخبرتني أن أفكر على راحتي في رسالتك السابقة، وستكون فكرتي هذه بإخبارك أنك لست بحاجة إلى بيع الحدائق، سنبني عدة منازل متراصة تجاورها الأشجار؛ بل ستكون حماية لها وستعطي لها مظهر جذاب أيضًا، أنت تعلم بمدى بحبي للأشجار ولذلك سأشرح لك و أنت سترسم منزل أحلامي بقلمك الرائع وتطبقه على أرض الحقيقة، أيضًا يمكنك بيع أو تأجير تلك المنازل بمبلغ رائع نظرًا لما سيكون بهم من أختلاف شاسع عن البقية، وبالأموال التي ستحصل عليها ستقوم بعمل المشروع الذي تحلم به، و سنعيش حياة هادئة تجمعني بك وبأولادنا مستقبلًا، وبيننا لقاء قريب

حبيبتك جميلة"

أغلقت جميلة الكتاب وتوقفت تتحرك نحو شرفة غرفتها، رفعت نظرها لأعلى تنظر نحو النجوم التي تتلألأ في السماء وتلمع ببريق خاص، وكأنها

فيلق من فتات الماس نُثِر على صفحة السماء ليعطي لها هذا المظهر المذهل، تنفست الهواء بعمق مع ابتسامة صغيرة ارتسمت على ثغرها، هناك من كتب قصة حياة جدها بتفاصيلها الصغيرة، لكن ما يشغل عقلها هو شعورها بأن وراء هذه القصة شيء ما أو لغز ما؟! و جدتها أيضًا لماذا أخبرتها بقراءة هذا الكتاب، ليس بالتأكيد لمعرفة قصة حب جدها الكبير، ما تتيقن منه أن هناك سبب آخر وقريبًا ستعلم ما هو!

****

في اليوم التالي

وصل أخيرًا إلى منزله بعد يوم شاق فمنذ السادسة صباحًا وهو بالخارج يبحث عن شقة ينتقلوا إليها، عقله مشتت الفكر، يفكر في الأمر كثيرًا، لكنه لا يجد حلًا آخر أمامه، أخرج مفتاح شقته من جيب بنطاله وفتح باب الشقة وأغلقه بقدمه خلفه، ثم توجه للداخل وهو ينادي على زوجته

وجدها تخرج من غرفته، فألقى المفاتيح على الطاولة وجلس على الأريكة وأشار لها بيده أن تجلس بجواره وهو يقول:

_تعالي إلى هنا أود أن أخبرك بشيء ما.

تحركت نحوه وهي تقول بتعجب:

_ماذا حدث؟ هل وجدت شقة لنا؟

جلست بجواره بهدوء فتنهد هو ثم قال:

_لم أجد شقة لكن! صديق لي أخبرني بوجود منزل بحي يبعد عننا بمسافة ليست كبيرة للغاية، ومعروض للإيجار لكن هناك عدة أشياء منعت تأجيره لفترة كبيرة، وصاحبه يود بيعه لكن لا أحد يعرف قصته إلا ويرفض، وهناك الكثير ممن أجروه وفروا بعيدًا عنه بعدها بمدة صغيرة، وعندما سألت أنا عن السبب قيل لي الكثير ومعظمها خرافات في الحقيقة!

ضمت ملك حاجبيها بعدم استيعاب ثم قالت:

_لم أفهم شيئًا ولماذا تحدثني عن هذا المنزل؟ هل سنستأجره!

صمت خالد قليلًا ثم بعدها نظر لها وقال:

_عندما أخذني صديقي لصاحب هذا المنزل، عرض عليا صاحبه أن أجره لمدة أسبوع أو أسبوعين فقط حتى يمحي الإشاعات التي تحوم حوله ويمكنه بيعه بعدها، وأنا أيضًا بالمقابل خلال هذا الأسبوع أو الأسبوعين أكون قد بحثت عن شقة لنا، لكنني لم أرد عليه وقلت له سأفكر! أنتظري سأريكي صورة لهذا المنزل.

أخرج هاتفه وفتح معرض الصور ثم فتح تلك الصورة التي أخذها من صاحبه وأدار الهاتف نحوها، فنظرت داخل الهاتف وتمعنت من الصورة ثم أشارت نحوها بيدها وقالت:

_خالد لماذا يحوم حول المنزل هذه الأشجار بهذه الطريقة؟ وما تلك الخرافات التي قيلت لك؟!

صمت لا يعرف بماذا يجيبها، هل يخبرها الحقيقة وهو يعلم أنها تخاف من أقل شيء لكنه لا يعلم إذا المنزل به شيء حقيقي أم لا، وهو في عسرة الآن هل يغامر أم ستكلفه المغامرة الكثير!

تنهد خالد بقوة ثم قال:

_الأشجار ليست تحيط بهذا المنزل فقط إنما منازل الحي تأخذ جميعها نفس هذا الشكل تقريبًا، والحي ليس كبير على العكس تمامًا، والإشاعات التي تقال تختلف من شخص لآخر، هناك من قال أن تلك الأشجار مسحورة وتفعل أشياء غريبة بالمنزل، وهناك من قال أن هذا المنزل مسكون، وهناك من قال أن...

رفعت حاجبها وقالت:

_لماذا لم تُكمل؟ هل هناك شيء آخر أغرب مما قلت، وتود بعد كل هذا أن نذهب ونعيش به هل جننت يا خالد أم ماذا؟

توقفت وهي تقول:

_خالد أنا أفضل النوم على رصيف الشارع ولا أبيت ليلة في هذا المنزل، أنا لن أنام هذه الليلة بعد ما سمعته منك فكيف إن ذهبت من الأساس؟!

أخذت تتحدث بالكثير من الأشياء في رعب وهي تتحرك نحو الغرفة، فنظر هو نحوها حتى اختفت داخل الغرفة فرمش بعينيه وهو يقول بهمس:

_ماذا كان سيحدث إن استمعت إلى بقية حديثي وعلمت بإختفاء أصحاب المنزل وعدم وجودهم بداخله!!!

توقف وتحرك خلفها نحو الغرفة وعندما دخل وجدها تلف الغطاء على وجهها وجسدها بالكامل،

فابتسم يكتم ضحكته عليها ثم تحرك وأزاح الغطاء عنها ثم قال:

_ملك اسمعيني قليلًا!

اعتدلت تجلس أمامه ثم قالت برفع حاجب:

_ذهاب إلى هذا المنزل لن يحدث مطلقًا فلا تفكر في الأمر.

زفر الهواء بضيق ثم قال لها:

_أهدأي فقط قليلًا، من ماذا خائفة هكذا قلت لكِ إنها خرافات، وأنا سأكون بجوارك هناك، وهي مدة صغيرة حتى أجد شقة ننتقل إليها، أعلم أنكِ تخافين من تلك الأشياء لكن أنا سأكون معك ولن يحدث شيء صدقيني تلك خرافات فقط.

هزت رأسها بالنفي وهي تقول:

_لا لن أذهب، كيف تفكر بهذه الطريقة لو كانت خرافات فلماذا تركوه جميع المستأجرين بالتأكيد به

شيء مخيف، خالد سنجد شقة بالتأكيد أنا واثقة من ذلك فلا تيأس بهذه الطريقة وتفكر بأي شيء هكذا.

أمسك خالد يدها وقال بهدوء:

_حبيبتي لا تصعبيها عليَّ بهذه الطريقة تبقى لنا غدًا فقط وسنغادر الشقة إلى أين سنذهب؟! دعينا نذهب للمنزل وأعدك إن حدث أي شيء سنغادر فورًا، بالتأكيد هذه مساعدة من الله لنا ليس أمامنا حل آخر و أنا تعبت من البحث أقسم لكِ لقد تعبت، لا تضغطي عليَّ أكثر من هذا إذا سمحتِ.

تنهدت هي ثم قالت بقلق:

_أنا أخاف من تلك الأمور بشدة وأنت تعلم ذلك، أنا لا أضغط عليك لكنني لن أقدر ولن ارتاح أبدًا به لماذا لا تفهمني!!

وضع خالد يديه على وجهه لثواني ثم رفع رأسه نحوها وقال:

_أنا لن أضغط عليكِ، يمكنك الذهاب لوالدك حتى أجد شقة ننتقل إليها، هذا حل مريح لكِ؟

هزت رأسها بصمت ثم قالت بضيق:

_أنت تفعل ذلك لأنك تعلم أنني لن أذهب!

تنهد خالد ثم قال لها بهدوء:

_أنا لا أفعل شيئًا لكن أخبريني أنتِ ماذا أفعل! هذا حل مؤقت، سنستأجره مؤقتًا لأيام قليلة، وسأجد شقة إن شاء الله لكن الآن نحن في وضع صعب يجب أن نأخذ قرار.

توقفت هيا ونزلت من فوق السرير ثم تحركت في الغرفة بهدوء وهي تفكر ثم بعد مدة ليست كبيرة التفتت نحوه وقالت:

_لو شعرت بأي شيء حتى لو بسيط سنتركه فورًا كما وعدتني

ابتسم خالد ثم قال:

_أعدك

جلست بجواره وقالت وهي تنظر أمامها بخوف:

_اتفقنا، ولله الأمر من قبل ومن بعد!

****

فصل 2

"ما هذا الصوت!"

داخل المنزل بالطابق الأول، جلست ملك بإرهاق بعد أن نظفت غرفة الجلوس وإحدى غرف النوم بالطابق الثاني، وهما ما سيتخدموهما فقط في تلك المدة التي سيظلون بها هنا.

نظرت لذلك الجالس على الأريكة وبجواره ابنه؛ يشاهدون التلفاز، ثم التفتت نحو ذلك المنزل كبير الحجم، بالتأكيد ورائه سر كبير، وإلا فلماذا يعقد صاحبه هذا الاتفاق مع زوجها، كانت تظن أنها لن تقدر على البقاء به لمدة ساعة واحدة، لكنها منذ جاءت إلى هنا وهي تشعر بالراحة، كانت تظن أيضًا أن المنزل سيكون بهيئة مخيفة كالمنازل المهجورة أو المسكونة التي تراها بالأفلام والمسلسلات؛ لكنه منزل هادئ ونظيف إلا من أثر غبار بسيط، وزوقه العام مريح للعين للغاية، معظم الألوان به تجمع بين درجات البني الفاتح، من الواضح أن صاحبه صاحب زوق رفيع وراقي.

تحركت وجلست بجوار خالد على الأريكة، ثم نظرت لما يشاهدون وبعدها عاودت تنظر لزوجها مرة أخرى وقالت:

_خالد ركز معي قليلًا.

التفت خالد نحوها ثم قال:

_ماذا؟

هزت رأسها بهدوء ثم قالت:

_لاء تقلق لكن أريد أن أخبرك بشيء يدور في ذهني.

اعتدل خالد في جلسته حتى يصبح مقابلًا لها ثم قال بابتسامة:

_انتظري قليلًا! ألا تري أنكِ لستِ خائفة، توقعت أن تظلي ملاصقة لي، ولن تتحركي أبدًا، ماذا حدث هل ذهب الخوف أم ماذا؟!

ابتسمت ملك له ثم قالت:

_أليس هذا شيئًا جيدًا! في الحقيقة قبل دخولنا للمنزل كنت أشعر بالفزع ليس بالخوف فقط، لكن عندما رأيته وجلست به ذهب الخوف لا أعرف لماذا في الحقيقة!!

هز خالد رأسه ثم قال:

_هذا جيد على أي حال، أخبريني ما هو الشيء الذي تودين إخباري به؟

تنهدت ملك ثم قالت:

_ألا ترى أننا يجب علينا الحرص من صاحب هذا المنزل، تفكيري يأخذني لأشياء جميعها مقلقة للغاية، أحيانًا أفكر أنه يستخدم المنزل للاحتفاظ بأشياء غير قانونية، أو لتخزين شيء ما غير قانوني أيضًا، أو أنه يود فعل شيء خطير ونكون نحن في المواجهة، أليس هذا خطرًا؟

ابتسم خالد ثم أخذ يضحك بقوة لمدة حتى أصبح يسعل من كثرة الضحك، بعدها توقف عندما نظرت له بغضب فقال:

_ملك حبيبتي توقفي عن التفكير بتلك الطريقة الغبية، وكفى مشاهدة تلك الأفلام التي تخرب لكِ عقلك، نحن بالحقيقة لسنا بفيلم أو ما شابه، الموضوع بسيط للغاية.

زمت ملك شفتيها ثم قالت بضيق:

_يمكنك أن تسخر مني كما شئت، لكن عندما يحدث شيء ستعلم أنني كان معي حق!

هز خالد رأسه وهو يبتسم من تفكيرها ثم عاود النظر جهة التلفاز مرة أخرى، ونظرت ملك هي الأخرى جهة التلفاز لكنها لا زالت تشعر بشيء من الخطر، ظلت تفكر حتى خطر ببالها فكرة وستنفذها غدًا!!

****

دقت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، وبغرفة النوم تحديدًا، فتحت ملك عيونها ثم اعتدلت ترفع نفسها قليلًا، تنظر نحو زوجها النائم بجوارها تتأكد من نومه، لتجده يغط في نوم عميق ثم نظرت لصغيرها لتجده هو الآخر نائمًا، سحبت هاتفها من فوق المنضدة جوارها ثم تحركت من فوق الفراش للخارج، تحركت في الممر الصغير المؤدي نحو الدرج ثم نزلت عدة درجات وجلست في منتصف السلم، فتحت هاتفها على دردشة بينها وبين شقيقتها وبدأت تكتب لها رسالة محتواها الآتي:

" أروى كيف حالك؟ أعلم أنكِ تسهرين بصغيرك طوال الليل، ولذلك أُرسل لكِ بهذا الوقت حتى يكون الجميع نائمًا، أود منكِ أن تأتي لي غدًا؛ لشيئًا مهمًا، وسأرسل لكِ موقع المنزل الآن اتفقنا؟ "

مر حوالي ثلاث دقائق، وتلك جالسة تنتظر ردها، وكل حين تنظر حولها بخوف، وما كان يطمئنها قليلًا أن المنزل في الطابق الأول قد تركت نوره

مضاءًا، انتبهت على صوت إشعار يعلن عن رد شقيقتها، ففتحه سريعًا وكان الآتي:

" أنا بخير الحمد لله حبيبتي، أتمنى أن تكوني أنتِ أيضًا بخير، سآتي لكِ غدًا كما تريدين لكن أخبريني ما الموضوع هل حدث شيء؟ الأمور معك بخير؟ "

تحركت أصابع ملك على شاشة الهاتف تكتب لها الآتي:

" لا تقلقي الموضوع يخص المنزل الذي انتقلنا إليه، هناك بعض الشكوك تدور في ذهني و أود مساعدتك معي هنا، وعندما تأتي غدًا سأخبرك بكل شيء، خالد زوجي اتفقنا أنا وهو أن يذهب في الصباح لعمله، وبعدها سيذهب للبحث عن شقة لنا؛ لأن مدة وجودنا بهذا المنزل مؤقتة، وهو كان قلقًا بشأن وجودي هنا بمفردي، لكن أخبرته بأنه لا داعٍ لترك عمله هذه المدة، وأنني لم أعد خائفة بعد، حتى يجد لنا شقة أيضًا بأسرع وقت ممكن، فلذلك يمكنك أن تأتي وسيكون هو بالعمل لنجلس على راحتنا"

مرت دقيقتان وردت عليها أروى شقيقتها بالرسالة التالية:

" حسنًا حبيبتي بعد آذان الظهر سأستقل سيارة وآتي إليك، أتمنى ألا تكوني مضخمة للأمور كعادتك"

ابتسمت ملك ثم أرسلت لها الرسالة الآتية:

"وحتى إن كنت مضخمة للأمور من يتحملني غيرك كالعادة أيضًا، وغدًا ستعلمين كل شيء لتحكمي بنفسك، تصبحين على خير حبيبتي"

تلقت آخر رسالة من شقيقتها بأن تصبح هي الأخرى على خير، وبعدها أغلقت الهاتف وتنهدت بقوة، غدًا ستتخلص من كل مخاوفها وما يقلقها أيضًا.

توقفت حتى تصعد درجات السلم وتعود للغرفة، لكنها توقفت سريعًا عندما شعرت أنها استمعت لصوت ما، التفتت ببطء تنظر خلفها، لكنها لم تجد شيئًا والصوت كان بعيد إلى حد ما، رمشت بعينيها

الصوت أشبه بدق، دارت بعينيها حولها ثم قالت بهمس:

_إما أنا أتوهم، أو أحد ما خارج المنزل فعل هذا الصوت، بالتأكيد لا يوجد شيء آخر!

صعدت الدرجات ركضًا حتى توصلت للغرفة، وأغلقت الباب خلفها، وسندت بظهرها على الباب تتنفس بقوة، فاستيقظ خالد زوجها ونظر لها بتعجب فقالت بخوف وقلق:

_كنت أتحدث مع شقيقتي، وفجأة شعرت بصوت ما يأتي من الأسفل.

تثاءب خالد في نعاس ثم قال:

_هذا لأنكِ خائفة من المنزل، ولذلك هُيئ لكِ فقط أو يمكن أن يكون الصوت من الخارج لا تقلقي، لكن سؤال صغير من ضيق الوقت طوال اليوم لم تجدي غير الآن وتحاديثها أنتِ! منذ كنا بشقتنا كنتِ تخافين من أقل شيء تحديدًا بعد منتصف الليل،

لذلك حبيبتي تعالي إلى هنا ونامي لترتاحي قليلًا، ولا تخافي أنا هنا بجوارك.

هزت ملك رأسها بهدوء لكن بداخلها تكاد تموت رعبًا من الخضة، وقلبها يدق بعنف! فتحركت ببطء شديد حتى تمددت بجواره على الفراش وسحبت الغطاء عليها، بدأت تقرأ بعض آيات القرآن الكريم ثم اغمضت عينيها لعلها تنام سريعًا، وفي الصباح يجب أن تفتش المنزل مع شقيقتها ركنًا ركنًا كما خططت حتى ترتاح.

****

كنت أعتقد أنني هذا المغوار الذي لا يقوى عليه أحد، ذلك الذي لا يقدر أحد على مواجهته أو الوقوف أمامه، لكن عندما جاءت هي بنظرة سعادة تلمع بعينيها كسرت كل حواجز القوى التي أمتلكها، كنت أبحث دائمًا عن كل الأشياء التي تجعلها سعيدة، كان بإمكاني أن أسافر بلاد فقط لرؤية البسمة تعلو وجهها، أبحث شرقًا وغربًا عن كل ما

تستهواه نفسها، واليوم أخيرًا قد انتهيت من تجهيز تلك المكتبة العملاقة لحبيبتي "رفيقة الكتاب" كما أطلقتُ عليها، تعشق الكتب مثل عينيها، حتى أنني أحيانًا كنت أشعر أن الكتب تنافسني على حبها، لكن لا بأس كل شيء يهون لأجل تلك النظرة التي أراها بعيونها!

لكن أنا كالعادة لا أمرر أي شيء دون وضع بصمتي الخاصة به! وكما لكل لغز غامض سر خلفه يحل عقدته، ولكل قصة ضخمة فكرة عبقرية أنشأتها، ولكل باب مغلق مفتاح يفتح معه أسرار كثيرة خلفه، أنا أيضًا عندما قمت بتصميم تلك المكتبة كان هناك غرضين أساسيين، أعتقد أنك علمت الأول بسهولة، وستعلم الأخر حين تحتاج إليه، وفي النهاية لكل لغز في الحياة حل لكنه يحتاج لصبر وذكاء، وفي نهاية كل مسألة معقدة يدون أسفلها بخط منمق جملة «للأذكياء فقط»، صغيرتي الجميلة القارئة لكلماتي الغريبة تلك الآن، أحب أن أقل لكِ أنكِ ستجدين ذكاءك هذا حينما تحتاجين إليه لا تقلقي.

أغلقت جميلة الكتاب عندما استمعت لصوت والدتها تخبرها أنه حان وقت الغداء، تنهدت بقوة هي لا تفهم شيئًا مما قرأت الآن، جدها بالتأكيد يقصد المكتبة التي تقع بجوار غرفة جدتها، لكن لماذا يتحدث عن الألغاز هنا؟ وما هو اللغز المتعلق بتلك المكتبة، زفرت بضيق شديد لماذا تقرأ هذا الكتاب من الأساس! تشعر أنها في أحد الأفلام الغامضة وهي البطلة التي تبحث عن سر ما! لكن هل ستعلم ما هو السر في نهاية الفيلم أم ستترك النهاية مفتوحة؟!

تحركت من فوق سريرها بهدوء، ثم وضعت الكتاب فوق المنضدة وغادرت غرفتها، تنزل الدرج نحو الأسفل حيث الطابق الأول!

دخلت وعيناها تتابع جدتها، عقلها يخبرها أن تسألها بالتأكيد هي تعرف، والدها ووالدتها يجلسون أيضًا على السفرة، هذه فرصة جيدة لكي تعرف منهم الكثير، سحبت الكرسي وجلست فوقه ثم أمسكت

الملعقة تقلب الطعام وهي تفكر، كيف ستفتح هذا الموضوع معهم، تنهدت بقوة ثم التفتت نحو جدتها وقالت:

_جدتي هل هناك سر ما يتعلق بتلك المكتبة التي تقع بالأعلى؟

رفعت جدتها نظرها نحو جميلة ثم ابتسمت بهدوء وقالت:

_جميلة أنا لا أعلم أي شيء يتعلق بذلك الكتاب الذي تقرأيه أنتِ؛ لأنني لم أقرأه.

ضمت جميلة حاجبيها ثم قالت بعدم فهم:

_كيف هذا؟ ولماذا تجعليني أنا بالتحديد أقرأه؟!

هذه المرة نظر والد جميلة لها ثم قال بابتسامة:

_جميلة حبيبتي جدي والد أبي شاكر الزيّاد عندما أنجب، أنجب ولد وحيد وهو أبي وكان قد وعد جدتك جميلة زوجته أنه إذا أنجب فتاة سيسميها على اسمها، وسيعطيها هذا الكتاب الذي دوّن فيه كل

شيء يخص قصة حبهم وأشياء أخرى خاصة به، لكنه لم ينجب غير ولد وحيد، ولذلك قرر أن أول حفيدة فتاة ستنجب له ستأخذ هذا الكتاب وتقرأه وهي ستفهم كل شيء يود قوله لها في النهاية، لذلك لا تتعجلي، وأيضًا حتى لا تسألي مرة أخرى عندما أنجب أبي هو أيضًا بعد ذلك لم ينجب فتيات، أنجب ولدين أنا وعمك، وأوصاني جدي قبل وفاته إذا أنجبت فتاة اسميها جميلة واعطيها الكتاب، وإذا أنجب أخي هو الفتاة يفعل نفس الشيء، أتمنى أن تكوني قد فهمتي الآن.

هزت جميلة رأسها بتفهم وعادت لطعامها، لكنها نظرت مرة أخرى لوالدها وقالت:

_أبي ماذا إذا كنت قد أنجبت فتاة وعمي كذلك؟

هز والدها رأسه بيأس من ابنته لن تتركه، ثم تنهد بقوة وبعدها قال:

_حبيبتي أولًا تعلمي دائمًا أنه لا داعي للسؤال عن شيء لن يحدث، ولا تضيعي وقتك فيما لا يفيد، ثانيًا عمك أنجب ولد وانتهى الأمر، لماذا نسأل في

المستحيلات إذن؟ لكن على كل حال سيكون الأمر لمن أنجب الفتاة أولًا بالطبع، هكذا أجبتك أنا؟

هزت جميلة رأسها وهي تضحك ثم قالت من بين ضحكاتها:

_لا أعلم لماذا لا أحد يتحملني هنا!! إذا لم استفسر منكم عن كل ما أريد بمن أسأل من وجهة نظركم؟!

ابتسم والدها وهو يكمل طعامه ونظرت والدتها نحوها وقالت:

_بعد كل هذا لم نتحملك! أنتِ بطبيعتك فتاة كثيرة التساؤل وفمك هذا لا يصمت عن الحديث، نحن نتحملك بأعجوبة.

نظرت جميلة لها ثم قالت بنبرة درامية مرحة:

_ألهذه الدرجة أنا عبء عليكم، يا ليتني أجد أحدًا يحبني مثل ما كان يحب جدي شاكر زوجته جميلة، بالتأكيد سيتحملني هو!

هزت جدتها رأسها ثم قالت وهي تبتسم:

_لم تكن جدتك جميلة بهذه اللماضة يا فتاة!

ضحكت جميلة ومعها والدها ووالدتها، وبعدها نظر والد جميلة نحو والدته وقال بابتسامة:

_أخبرني أخي أنه سيأتي مساء اليوم مع زوجته وسيستقرون هنا.

هزت والدته رأسها ثم قالت بتنهيدة:

_أتمنى أن يحدث ذلك، لقد تغير أخوك كثيرًا وأصبح شخصًا آخر غير هذا الذي أنجبته أنا، لكنني آمل أن يكون قد تغير.

ابتسم والد جميلة وقال:

_أتمنى ذلك أيضًا، وبالنهاية هو سيعود اليوم وسيكون بجوارنا بعد ذلك، لكن من أجلي أمي لا تكوني قاسية معه سامحيه على ما مضى، هو فقط يحتاج لرؤية حبك له الآن.

هزت والدته رأسها وقالت بهدوء:

_هو لا يحتاج لحبي لأنني أحبكم بالفعل، لكنه يحتاج لإعادة ترتيب عقله من جديد، لكن أترك الأمور كما رتبها لنا المولى وكل شيء سيكون بخير بإذن الله.

بلعت جميلة الطعام ثم قالت بهمس لنفسها:

_أتمنى أن تمر هذه الليلة على خير!

****

اصطدمت الشمس بصدر النهار؛ إصدامًا عنيفًا أدى إلى نشر أشعتها الذهبية في كل مكان، وما كان هذا إلا إعلانًا منها بقدوم ظُهير اليوم، ازدادت الجلبة في شوارع المدينة مع خروج التَّلاميذ في هذا الوقت ومعظم موظفي الحكومة، وعدد لا بأس من البرية؛ لتأدية أغراضهم، ثمة أناس لا زالوا يقضون أوقاتهم داخل العمل ومنهم

داخل المناطق الحكومية سواء طلبة أم عاملون وآخرون في منازلهم.

توقفت سيارة الأجرة أمام المنزل ونزلت أروى منها، دقائق قليلة وكانت تضغط على زر الجرس الخاص بالمنزل وعينيها تتابع ذلك المنزل الغريب بل هذا الحي الأغرب! ابتسمت عندما فُتح الباب وأطلت شقيقتها من خلف الباب، لتأخذها في عناق كبير يعبر عن مدى اشتياقها لها، ثم أخذتها للداخل وأغلقت الباب خلفها.

جلست على الأريكة تقول بانبهار:

_المنزل رائع للغاية، ومن الخارج شعرت أنني أرى منزل من أحد الأفلام القديمة ليس أراه على الحقيقة بالفعل، كل شيء به راقي للغاية ليتني أمتلك أموال تكفي كنت أشتريته بلا أي ذرة ندم واحدة.

جلست ملك بجوارها ثم قالت بابتسامة:

_المنزل رائع بالفعل، من الظاهر أن أصحابه أثرياء للغاية وذوقهم مميز، لكن هناك عدة أشياء أود أن أخبرك بها!

ضمت أروى حاجبيها وقالت:

_ماذا؟ هل به شيء ما؟

صمتت ملك قليلًا ثم تنهدت وبدأت تقص عليها كل ما أخبرها به زوجها.

تابعت أروى المنزل بعينيها ثم قالت بعدها:

_لا أشعر أن ما يقال صحيح! المنزل هادئ ولا يوجد به شيئًا يثير للرعب أو الفزع، وأنتم هنا منذ الأمس ولم يحدث شيء فكيف هذا؟ أقل لكِ شيئًا أشعر أن هذه إشاعة ومن قام بنشرها شخص ما يود شراء هذا المنزل، وهذه الإشاعة ستساعده على خفض مبلغ البيع أليس كذلك؟

فكرت ملك قليلًا ثم زمت شفتيها وقالت:

_من الممكن، لكن أنا أود منكِ أن تساعديني في تفتيش المنزل، سنبحث بكل غرفة هنا حتى نعلم إذا كان صاحب المنزل يخفي سرًا ما أم ماذا!

هزت أروى رأسها وقالت:

_حسنًا أنا معك حتى تطمئني.

ابتسمت ملك ثم تابعت بعينيها صغيرها الذي يتحرك نحوهم وهو يفرق عينه بنعاس فحملته أروى وهي تقول بابتسامة:

_لا يوجد عناق صغير لخالتك ياشقي أنت!

ابتسم الصغير ثم رفع يده لها لتضمه أروى، ثم بعدها أمسكت وجنتيه وقالت بحنان:

_كل هذا نوم ياعدي؟

تثائب الصغير ثم قال وهو ينظر لوالدته ويشير بعيدًا:

_أمي هناك.. هي.. هناك

نظرت ملك لأروى ثم عاودت النظر لابنها وقالت بهدوء:

_حبيبي من هي؟ ومن هناك لا أحد هناك!

هز عدي رأسه بالرفض ثم قال:

_لا هي هناك..هي تصرخ أنا سمعت هي تصرخ

بلعت ملك ريقها بقلق ثم نظرت بعيدًا، وبعدها نظرت لشقيقتها وقالت:

_هو قد يكون استمع لصوت يأتي من خارج المنزل، الجميع يتحركون بالشارع في هذا الوقت، نحن نجلس هنا ولم نستمع لشيء صحيح؟

هزت أروى رأسها ثم قالت بهدوء:

_أو أنه كان يحلم فهو الآن قد استيقظ من نومه لا تقلقي أنتِ.

توقفت ملك وقالت بتوتر وقلق:

_أروى تعالي معي نتفقد المنزل أولًا أنا أشعر بالقلق!

توقفت أروى وربتت على كتف ملك وهي تقول بحنان:

_كما تريدين فقط أهدئي صدقيني هو كان يحلم.

هزت ملك رأسها ثم تحركت تمسك جهاز التحكم الخاص بالتلفاز، وأحضرت فيلمًا كرتونيًا ونظرت لصغيرها وقالت:

_عدي سنصعد أنا وخالتك لأعلى لننظف المنزل، أجلس أنت هنا وشاهد التلفاز وكُل هذه الفاكهة، وإذا احتجت لشيء ناديني سآتي إليك أتفقنا حبيبي؟

هز الصغير رأسه ثم حمل الطبق فوق قدميه وتابع التلفاز، فتحركت ملك وخلفها أروى.

وصلوا للطابق الثاني فأشارت ملك بيدها لأحد الغرف وقالت:

_هذه الغرفة التي نبيت بها وقد نظفتها ليس بها شيء، فلا داعي للبحث بداخلها، تعالي نرى هذه.

هزت أروى رأسها ثم تحركوا بإتجاه الغرفة التي أشارت نحوها، وقامت ملك بفتحها وبعدها مدت يدها وأضاءت نور الغرفة.

شهقت أروى ترمش بعينيها بصدمة ثم قالت:

_ما هذا!! كل هذه مكتبة؟ أليس محزن هذا، جميع الكتب هنا قد غُلفت بالتراب! ألم تري أسعار الكتب في تلك الفترة كيف ارتفعت، وهنا كتب لا تعد ولا تحصى ولا تجد من يقرأها!

التفتت ملك نحوها تقول بغيظ:

_عن ماذا تتحدثين أنتِ الآن! أتينا إلى هنا للبحث ليس للإعجاب بالمكان، وهذه المكتبة لا تخصنا بشيء.

زمت أروى شفتيها تقول بغيظ شديد:

_لو كنت أنا من أعيش هنا لكنت جلست بجوار هذه المكتبة ولن أتحرك مهما حدث، لكن أنتِ لا تفهمين، ليت أصحاب المنزل يقبلوا تبني واحدة مثلي وأنا لن أرفض أبدًا.

زفرت ملك بغيظ شديد منها ثم قالت وهي تلكزها بكتفها:

_كفى حديث بلا معنى وأبحثي معي هيا.

اومأت لها أروى ثم تحركت كل واحدة منهن في إتجاه يبحثون داخل كل شيء موجود بالغرفة، مرت دقائق عديدة حتى وضعت أروى يدها بخصرها وقالت بزهق:

_لا يوجد شيء هنا، توقعت هذا فالمكان هنا ليس به شيء غير الأثاث والكتب فقط... ما هذا؟

تحركت بهدوء نحو الطاولة حينما لمحت شيء يقع بجوارها من الخلف، مالت قليلًا ومدت يدها تسحب ذلك الشيء ثم رفعته واعتدلت تقف وقالت بتعجب:

_واو! كتاب عجيب، من الواضح أنه قديم للغاية وغلافه سميك ذو لون مميز، مدون أعلاه اسم "شجرة شاكر باشا"!!، ماذا يقصد؟ هل له علاقة بذلك الشجر الكثيف بالخارج.

ضحكت أروى تقول ببلاهة:

_كيف له علاقة بالتأكيد أنا غبية، هذا كتاب عادي لكن لدي فضول شديد لقرأته!

جاءت ملك وسحبت الكتاب من يدها تضعه فوق الطاولة وقالت بتنهيدة:

_هل هذا وقته يامجنونة؟ هيا تعالي لنرى بقية الغرف.

سحبتها خلفها للخارج، والأخرى تتابع الكتاب بحسرة ثم نظرت للمكتبة قبل أن تغادر الغرفة وقالت:

_عجبًا للزمان يضع كل تلك الكتب بلا قارئ، وأنا هنا قارئ بلا كتب!

تابعوا البحث داخل بقية الغرف، حتى مر حوالي ساعتين ونصف ونزلوا بعدها لأسفل، لتجلس أروى بتعب على الأريكة وهي تقول:

_يالله لقد تعبت حقًا، أتمنى أن تكوني قد ارتحتي الآن، ها نحن قد بحثنا ولا يوجد شيء يستدعي للقلق.

جلست ملك بجوارها وتنهدت بقوة ثم قالت وهي تفرك جبهتها:

_نعم كل شيء جيد الآن، حبيبتي شكرًا لكِ لقد أتعبتك حقًا، لكن تب...

صمتت ملك وبعدها قالت بهمس:

_أروى!! هو نفسه!

ضمت أروى حاجبيها وقالت بعدم فهم:
_ماذا تقصدين؟ وما هو الذي تتحدثين ع...

وضعت ملك يدها على فم أروى وقالت بهمس:
_شششششش فقط استمعي معي لهذا الصوت، إنه صوت الدق الذي سمعته بالأمس، نعم هو!

صمتت الاثنتان وامسكت ملك جهاز التحكم وكتمت صوت التلفاز، لتمر دقائق خالية من أصواتهم عدا صوت الدق هذا؟!

التصقت ملك بأروى وضمت عدي تقول بخوف:
_أروى ما هذا؟

بلعت أروى ريقها تقول بقلق وهي تشير بعيدًا:
_الصوت يأتي من هذه الغرفة.

نظرت ملك نحو ما تشير ثم قالت برعب:

_هذه غرفة المخزن! أنا لن أجلس هنا أبدًا.

توقفت ملك وتوقفت معها أروى، وعيناهم تتابع الغرفة بقلق، تشعران أن شبح سيخرج لهم من هذه الغرفة في تلك اللحظة!

سمعوا صوت صراخ يأتي من الغرفة، فصرخت الاثنتان بفزع شديد وحملت ملك عدي وركضوا سريعًا يغادروا المنزل وصرخاتهم تتعالى!

****

فصل 3

"سر غامض"

على ألحان عبدالوهاب الهادئة، كانت تتحرك ك فراشة رقيقة حول الزهور التي بالقرب من شرفة غرفتها خارج المنزل، بيدها مِنْضَحة الزرع تسقي الزهور الحمراء لون الأزهار المفضل لها، شردت قليلًا تتذكر آخر جزء قرأته بذلك الكتاب

"وعندما كنت أتشاجر مع جميلة كانت تختفي بعدها لمدة يوم أو يومين، تجعلني أبحث عنها طوال الوقت ولا أعرف أين هي، لكن بأحد الأيام بعد مشاجرة حدثت بيننا تركتني وغادرت، فتحركت خلفها بصمت حتى صعدت بالطابق الثاني نحو غرفة المكتبة، حينها فقط ابتسمتُ براحة هي وصلت لذلك المخبأ السري الخاص بي دون أن أعلم أي شيء عن ذلك، ذلك المخبأ الذي صممته بطريقة رائعة من أجل مفاجأة لها لكنها من الواضح أنها رأتني ذات ليلة وعَلِمت به، فقررت هي أن يكون هذا المكان هو مخبأها حينما تود معاقبتي،

تَداخُل المخبأ مع الشجرة التي زرعناها سويًّا جعلته مميز بحق!"

وضعت جميلة مِنْضَحة الزرع في المكان المخصص لها ثم تحركت ببطء نحو المنزل، لقد ذهبت لغرفة المكتبة مئات المرات، بل منذ صِغَرها تذهب إلى هناك لتجلس مع جدتها ولا يوجد أي مخبأ هناك؟! هل جدها أغلقه أو أخفاه قبل وفاته، لماذا كلما تقرأ بهذا الكتاب تشعر أن الوضع يزداد سوءً، وأنها لا تفقه أي شيء، فكرت لثواني معدودة ثم بعدها قررت أن تصعد للمكتبة لترى بنفسها مرة أخرى وتتأكد إذا هذا المخبأ لازال موجود أم لا!

تحركت تصعد درجات السلم وهي تدندن إحدى الأغاني المفضلة لها، لكنها توقفت عندما استمعت لصوت والدها المرتفع وصوت عمها أيضًا، ومن الواضح أن هناك مشاجرة كبيرة قائمة بينهم، تحركت تعود مرة أخرى نحو الطابق السفلي حتى توقفت في ساحة المنزل بالأسفل، تقف بجوار السلم

بعيدًا من الخلف، وترى حديث والدها مع عمها الذي كان يدور كالآتي:

راشد والد جميلة:

_لماذا تُصر على حديثك! قلت لك مئات المرات سابقًا نحن لا نعلم أين توجد أوراق المنزل أو حتى أي أوراق خاصة بالأملاك، جدك أخفاها قبل وفاته.

كامل بغضب:

_من الظاهر أنك لازلت على تفكيرك الغبي هذا، أو والدتك أقنعتك بهذا الحديث السخيف، هي تعلم أين توجد كل الأوراق والأموال الخاصة بنا، لكنها لا تود قول ذلك.

تحرك راشد نحوه ليضع يده فوق كتف أخيه ويقول بهدوء:

_لو أفهم فقط لماذا لا تقتنع! هي لا تعلم لا تعلم أين صدقني، جدك لم يخبر أحد؛ لأنه بنى هذا المنزل

بحب شديد، وأراد أن يبقى أثره به ويظل به أحفاده يتوالون خلف بعضهم، لذلك أخفى الأوراق حتى لا نقوم نحن ببيعه أو أي أحد من بعدنا.

نفض كامل يد أخيه وقال ببرود:

_ألم أقل لك أن والدتك أقنعتك بهذه الخرافات، أنا أعلم تفكيرها جيدًا، تعتقد أنها إذا اخفت الأوراق سنعيش هنا جميعنا سويًّا بسلام، لكن هذا لن يحدث أنا لن أصمت أبدًا حتى أخذ حقي.

تنهد راشد بقوة ثم قال بهدوء شديد:

_أنا حاولت معك مرارًا وتكرارًا لكن من الواضح أنك لن تفهم أبدًا، لذلك أفعل ما تشاء لقد تعبت منك، وأرهقني كثرة الحديث معك بلا جدوى.

ابتسم كامل بضيق وقال:

_الآن فهمت كل شيء! أنت تعلم أين الأوراق واتفقت مع أمي بعدم إخباري، لكن صبرًا أنا لن أمرر هذا على خير أبدًا.

قال جملته وغادر المنزل ليعم الهدوء على المكان إلا من صوت ارتطام الباب بقوة خلف كامل!

تنهد راشد وأغمض عينيه يقول بهمس:

_أخي لن يمررها بسلام، ولن يرتاح حتى يهد كل شيء!

تحرك هو الآخر وصعد لأعلى، لتخرج جميلة من خلف الدرج وتنظر نحو أثرهم، لتتنهد بحزن ثم بعدها تحركت تصعد مرة أخرى وتوجهت نحو غرفة جدتها.

دقت الباب مرة والثانية، لتسمع صوت جدتها يأتي من الداخل تسمح للطارق بالدخول، فتحت الباب ببطء وتحركت للداخل.

نظرت جميلة نحو جدتها وقالت:

_جدتي هل يمكنني الحديث معك الآن؟

اعتدلت جدتها في جلستها على سريرها، ثم مدت يدها تأخذ نظارتها من فوق الطاولة بجوارها، وارتدتها وبعدها نظرت لجميلة بتمعن فمن صوتها علمت أن بها شيء، نبرتها تقرُب من البكاء فقالت:

_تعالي يا جميلة، ماذا حدث؟

تساقطت دمعة من جميلة على وجنتها وهي تقول:

_جدتي لماذا لا تخبري عمي كامل بمكان الأملاك، هو لن يستريح حتى يعلم وإلا لن يترك أبي، فهو يتشاجر معه دائمًا حتى منذ قليل تشاجروا سويًّا، أنا سمعت أبي أمس يتحدث بأنه تعب من مشاجراته مع عمي، وأنه خائف من أن يفعل شيئًا متهورًا! لماذا لا تتحدثين وتريحين الجميع؟!

تنهدت جدتها بتعب ثم قالت:

_حبيبتي لو كنت أعلم لكنت تحدثت وأرحت الجميع وأنا أيضًا معهم، لا توجد أم بالعالم تسعد برؤية

تشاجر أولادها مع بعضهم لكن ليس بيدي شيء، جدك هو من فعل كل ذلك سامحه الله!

جلست جميلة على كرسي مقابل للسرير، وقالت بدموع تجمعت بعينيها التي غُلفت بطبقة بلورية شفافة:

_إذن ما العمل الآن؟ وكيف سنقنع عمي بذلك!

هزت جدتها رأسها بأسى تقول:

_حبيبتي لا تبكي سنجد حل إن شاء الله.

****

تنفس بقلق لماذا هاتفها مغلق الآن! لقد تلقى منها ما يقرب من عشرة مكالمات، لكن هاتفه كان على الوضع الصامت ولم يشعر به فكان مشغول بالعمل، وصل أخيرًا المنزل ليتحرك سريعًا نحو هذا الجمع الطفيف من الناس بقلق يزداد، ليقول لأحد الواقفين بقلق شديد:

_لو سمحت لماذا تجتمعون هنا بالقرب من هذا المنزل بهذا الشكل، هل حدث به شيء؟

تحدث الرجل بعدما التفت إليه:

_بسبب المستأجرين الجدد لهذا المنزل كالعادة! فمنذ ما يقرب من ساعة استمعنا لصرخات تأتي من الداخل، فكر الجميع أنها تأتي من المنزل لما به اللهم أحفظنا، لكن بعدها خرجت فتاتان من الداخل وواحدة منهما كانت تحمل معها طفل صغير وعلمنا أنهم المستأجرين، ركبوا سيارة أجرة وغادروا من هنا برعب شديد وهم يهذون بكلمات عدة! لماذا أنت قلق هكذا هل تعلم من هما؟

نظر خالد نحو المنزل ثم بعدها نظر نحو الرجل مرة أخرى ليقول بقلق عليهم:

_نعم أنا المستأجر الجديد لهذا المنزل، وكانت هذه زوجتي وابني واعتقد أن ما كانت معها شقيقتها!

ربت الرجل على كتفه يقول بهدوء:

_أحمد ربك أنه نجاهم من هذا المنزل على خير، لا أعلم كيف تفعل هذا بنفسك وبعائلتك، هل أحد يؤجر هذا المنزل بعدما يعلم ما به، ماذا إذا اختفوا كحال أصحاب المنزل ماذا كنت ستفعل، لذلك أحرص جيدًا في المرة القادمة يابني ولا تتهور!

هز خالد رأسه بصمت وعقله منشغل الآن بحال عائلته، ليتنهد بثقل ثم نظر للرجل وقال:

_أشكرك كثيرًا، وشكرًا لنصائحك

ربت الرجل على كتفه يقول:

_عفوًا أنت ك ابني الله معك، وإذا كنت لا تعرف أي شيء عن المنزل وضحك عليك صاحبه، فيمكنك أن تتأكد من كلامي من إبراهيم النجار هذا، هو يعلم كل شيء يخص هذا المنزل.

قالها الرجل وهو يشير على ورشة نجارة بعيدة قليلًا عنهم.

نظر خالد نحو ما يشير ليجد رجلًا كبيرًا بالسن يعمل بالداخل، ليهز رأسه للرجل وبعدها شكره مرة أخرى، واستقل سيارة أجرة حتى يذهب نحو منزل شقيقة زوجته؛ ليطمئن عليهم.

****

كان يصعد درجات السلم ركضًا بقلب يتسارع دقاته من شدة القلق، توقف أمام الشقة وصدره يعلو ويهبط من سرعة ركضه، تنفس بقوة ثم رفع يده يضغط على زر الجرس، ثواني وفُتح الباب وأطل عليه زوج أروى من خلفه ليبتسم خالد بتوتر وقلق وقال:

_كريم كيف حالك؟ هل ملك وعدي هنا؟

هز كريم رأسه بإيجاب وانزاح قليلًا وهو يقول:

_نعم هنا، اتفضل ياخالد.

ابتسم له خالد وتحرك على استحياء للداخل حتى غرفة الجلوس، ثم جلس بعدها على أريكة بالداخل وجلس كريم بجواره.

حم حم كريم ثم بعدها قال بنبرة هادئة:

_خالد أروى زوجتي لا تخاف بشدة ك زوجتك لذلك استفسرت منها عما حدث، لكن ملك زوجتك حالتها كانت صعبة للغاية، وهدأت بعد مدة طويلة لكن لا زالت متعبة قليلًا، أنا سأذهب الآن لأخبرهم بأنك موجود هنا لكن أنت... أقصد..أتمنى أن تراعي حالتها؛ لأنها في حالة عصبية ويمكن أن تقول أي شيء، لذلك حلوا أموركم بهدوء وتحملها لأنها خائفة هل تفهمني؟

هز خالد رأسه وابتسم وهو يقول له:

_نعم اتفهم ذلك لا تقلق.

تحرك كريم نحو الداخل ثم بعدها عاد وخلفه ملك ومعها أروى، سلمت أروى عليه وبعدها أخذ كريم زوجته وتوجهوا للداخل ليتركوهم سويًّا.

نظر خالد نحوها وقال بقلق عليها:

_ملك ماذا حدث هناك؟ أنتِ بخير الآن؟ وعدي بخير؟

رفعت ملك نظرها نحوه وتنهدت ثم قالت بنبرة مرهقة وجافة:

_عدي بخير وهو نائم الآن، بالنسبة لما حدث فهذا من الطبيعي أن يحدث، منذ البداية رفضت الذهاب إلى هناك وأنت من أقنعتني ياخالد، أنا عشت أسوء يوم بحياتي، غرفة المخزن بها شيء، كانت هناك صرخات تنبع منها ونحن نعلم بكل تأكيد أن ليس بها أحد ف..فكيف هذا؟ وصوت الدق الذي أخبرتك به أمس وقلت أنه تهيؤات فقط، عاد اليوم مرة أخرى، ما بالمنزل ليس إشاعات بل هي حقيقة! وأنت السبب لما حدث كله لم تخبرني أن أرواح أصحابه اختفت به الجيران قالوا لنا هذا الحديث، هل حياتي أنا وابنك لا تهمك لهذه الدرجة؟!

هز خالد رأسه سريعًا يقول:

_كيف تقولين هذا؟ إذا لم تهمني حياتكم فمن سيهمني إذن، لا تفكرين بهذه الطريقة وأنتِ تعلمين جيدًا أنكم أغلى شيء بحياتي! وأنا أقسم كنت أعتقد أنها إشاعات فقط.

رفعت ملك حاجبها وقالت بحدة:

_إشاعات؟ خالد لقد أجر الكثير من قبلنا المنزل وكان يجب عليك أن تتأكد منهم ومن الجيران أيضًا، ولماذا لا يعيش صاحب المنزل هو به وينهي تلك الإشاعات بنفسه إذن، أنت غامرت بنا وانتهى الأمر، وأنا سأذهب من هنا لمنزل أبي وعندما تجد شقة تعالى خذني من هناك.

تنفس خالد بقوة يكبح غضبه ثم بعدها قال:

_أنا أود أن أفهم شيئًا، لماذا تلقي كل اللوم عليَّ أنا فقط، ماذا كان بيدي لأفعل غير ذلك، صاحب الشقة وانتهت مهلته وأنا بحثت كثيرًا وكنتِ شاهدة على ذلك، ولم أجد شقة ماذا كان عليَّ أن أفعل أنا،

وأيضًا قبل أن نذهب خيرتُكِ أن تذهبي لوالدك أو تأتي معي وأنتِ من أخترتي ذلك، لذلك لا تلقي كل اللوم عليَّ وحدي، وحتى لا تبررين من جديد من قبل زواجنا وأنتِ تعلمين ظروفي جيدًا أنا لم أخدعك وكل ما بوسعي بذلته، لذلك لا تحمليني فوق طاقتي أنا تعبت حقًا.

هزت ملك رأسها ثم قالت بخنقة:

_خالد بكل مشكلة تحدث بيننا تذكرني أنني من أخترت! وأنك أخبرتني بكل شيء منذ البداية، هل ترى أنه كان يجب عليَّ رفضك أم ماذا، هل هذا هو ذنبي أنني وافقت عليك؟ أنا وافقت على شخص فكرت أنه سيقدر على حمل أعباء أسرة بأكملها، فكرت أننا سنعين بعضنا وسنمر بكل الأزمات سويّا لكن بكل مرة تلقي اللوم على اختياري، وأنه نتيجة فعلي، إذا كان ذلك لماذا تقدمت من الأساس لتطلب يدي؟!

نظر خالد بعيدًا وقال:

_لم أكن أعلم أن الوضع سيزداد سوءً لهذا الحد، لدرجة أنني لا أجد مكان نعيش به!

توقفت ملك وقالت:

_إذن عندما تجد مكان وتتيقن من أننا سنستقر به تعالى لتأخذني أنا وعدي من منزل أبي.

توقف خالد وهز رأسه وهو يقول:

_اعتني بعدي جيدًا ولا تغلقي هاتفك وإذا احتجتما لشيء بلغيني، السلام عليكم!

تحرك خالد نحو باب الشقة لكنه توقف على نداء زوج أروى يخبره بأنه سينزل معه لأسفل.

دخلت أروى وجلست بجوار شقيقتها وربتت على كتفها وهي تقول:

_كل شيء سيمر على خير، فقط ثقِ بقدرة الله سبحانه وتعالى هو قادر على كل شيء.

هزت ملك رأسها وهي ترفع يدها تزيل تلك الدموع التي تساقطت منها وتدعو بداخلها أن يصلح لهم الحال.

****

بدأت خيوط النهار تتلاشى، وتشكلت السماء بهيئة جذابة، تحديدًا في هذا الوقت قُرب المغرب، كأنها امتزجت بالنار من كثرة قرب لونها للزعفران، والطيور كانت تتأرجح بأجنحتها في الهواء العليل، وبدأت الناس تقل تدريجيًا بالشوارع التي كانت مزدحمة للغاية.

تحرك خالد وبجواره كريم بعدما نزلوا الشارع وتوجهوا خارجه فتنهد خالد وقال:

_رأيت شيئًا غريب لكنني لست متأكد منه، أشعر أن هناك شيء ما أو لغز وراء هذا المنزل، هل صاحب المنزل يضع شيئًا به يخيف به السكان! أنا

تفقدت المنزل جزء جزء جيدًا، وغرفة المخزن هذه بالذات تفقدتها جيدًا وخصوصًا ذلك الأثاث القديم الموجود بها خفت أن يكون واضع بها شيئًا ما، وكانت ليس بها أحد كيف سمعوا صرخات ودق من داخلها؟!!

ضم كريم حاجبيه ونظر نحو خالد وقال:

_لماذا صاحب المنزل ليفعل ذلك! لا أعتقد! ليس له مصلحة في ذلك، إما تفكيرك صحيح لكن شخص آخر يفعل ذلك أو هناك بالفعل أرواح تسكن بالمنزل على حسب ما حكت لي أروى من ما علموه من الجيران، لكن ما هذا الشيء الغريب الذي رأيته وأثار تفكيرك هذا؟

توقف خالد والتفت نحو كريم وقال:

_أعتقد يجب أن أفعل شيئًا أولًا قبل هذا، هناك رجل صاحب ورشة يعمل بها بالقرب من المنزل، ويعلم كل شيء عن هذا المنزل، أعتقد أنني يجب أن استمع إلى القصة كاملة منه حتى نربط الأحداث

ببعضها، ما رأيك أن تأتي معي وسأخبرك بما رأيته؟

صمت كريم قليلًا وبعدها قال:

_حسنًا سآتي معك، لكن سأتصل أخبر أروى حتى لا تقلق وبعدها نذهب سويًّا، وأيضًا سأخبرك بشيء ما في طريقنا.

أومأ له خالد وبعدها أتصل كريم بزوجته واطمأنوا عليهم وبعدها استقلوا سيارة وتوجهوا بها نحو حي الأشجار.

توقفت السيارة أسفل الورشة ونزل خالد ومعه كريم وبعدها توجهوا نحو الداخل.

توقف خالد ونظر نحو ذلك الرجل الذي يظهر عليه كِبر السن وتحدث ب:

_السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

التفت الرجل ينظر لهم بعدها تحدث بنبرة هادئة:

_وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أهلا وسهلًا أنتم غرباء عن هنا أليس كذلك؟

نظر خالد نحو كريم وابتسم وبعدها عاود النظر جهة الرجل وقال:

_نعم، وأنت السيد إبراهيم صحيح؟

هز الرجل رأسه ببشاشة وقال:

_نعم، اتفضلوا من الواضح أتيتم لمعرفة شيء ما..
ثم ابتسم ابتسامة خفيفة وقال:

_وأعتقد أن هذا الشيء يخص ذلك المنزل الخاص بعائلة الزيّاد! أليس هذا صحيح؟

اومأ له خالد وقال:

_نعم صحيح.

أشار إبراهيم نحو عدة كراسي داخل الورشة وقال لهم:

_اتفضلوا هنا وأنا سأحكي لكم الحكاية التي حكيتها من قبل ما يتخطى عن عشر مرات حتى الآن.

توجهوا الاثنان نحو كرسيين متجاوريين وجلسوا عليهم، بعدها نظروا للسيد إبراهيم يحثوه على بدء الحديث، فتحرك وسحب هو الأخر كرسي ووضعه مقابلًا لهم ثم بعدها جلس ونظر نحوهم وتنهد، وبدأ يقص عليهم ما يعرفه:

_صاحب هذا المنزل اسمه شاكر الزيّاد، بنى المنزل قبل زواجه بمدة ليست كبيرة، وبنى معظم منازل الحي قبل بيعها، ويقال أنه كان بينه وبين زوجته قصة حب كبيرة حتى قبل زواجهم، وحينما بنى المنازل كانت فكرة حبيبته، وبعدها صمم المنزل بطريقة تختلف بأشياء بسيطة قليلًا عن بقية منازل الحي، وتزوجها بعد أن أتم بنائه وأنجب ابنًا واحدًا، ومرت السنوات وأصبح له أحفاد راشد وكامل، ومن هنا تبدأ الحكاية عندما بلغ راشد سن العشرون وكامل سن الثامن عشر توفى جدهم شاكر

بعد وفاة زوجته بسنتين، ومرت الأيام وكبر راشد وأخوه كامل وتزوج راشد ومن بعده كامل، أنجب راشد فتاة تدعى جميلة وسميت على اسم جدتها زوجة شاكر الزيّاد، وأنجب كامل ولد يدعى ياسر، سافر كامل عدة سنوات فالخارج وسمعنا أنه كان على دوام المشاجرة بينه وبين أخيه، وكل إجازة ينزلها هنا يحدث مشاحنات بينه وبين والدته وبينه وبين أخيه، وعندما كبر راشد وأيضًا كامل وأصبح أبناؤهم في سن الشباب عاد كامل واستقر في العيش هنا مع اخيه ووالدته، وبيوم من الأيام حدثت الكارثة الكبرى سمعنا صرخات تأتي من المنزل، وتجمع أهل الحي ليعلموا ماذا حدث فجاءنا خبر وفاة راشد الزيّاد والذي اختفت جثته بعد ساعة واحدة من وفاته ولم يجد أحد الجثة حتى الآن، ومن بعدها بدأت الكوارث تأتي واحدة وراء الأخرى ليمر فترة ونسمع نفس الصرخات لنعلم بموت والدتهم واختفاء جثتها هي الأخرى، حينها الشاهدون على الوقعة اتهموا أخاه كامل؛ بسبب دوام مشاجرته معهم وعلمنا حينها أن هذه المشاجرات كانت بسبب الأملاك والإرث، لكن لم يمر فترة كبيرة إلا وأتى خبر وفاة كامل واختفاء

جثته أيضًا، الحدث كان مرعب للغاية ومثير للدهشة والزعر، زوجة كامل كانت توفت قبل وفاة الجميع في المستشفى؛ لأنها كانت تعاني من مرض شديد، لم يتبقى سوى جميلة ابنة راشد ووالدتها وياسر ابن كامل، قرر ياسر بعدها السفر بعيدًا هربًا من هذا المنزل الذي قيل أنه ملعون أو مسكون وكثرة الأقاويل بعدها، ولم توافق جميلة ووالدتها على ترك المنزل، وذات ليلة سمعنا صرخات مرة أخرى لينتهي سكان المنزل باختفاء السيدة وابنتها جميلة، حينها فقط ابتعد الجميع عن المنزل أو القرب منه خائفين، وكان ياسر يحاول بيعه للخلاص منه، لكن لا يأتي مشتري إلا ويسمع الخبر يهرب ولا يعود، وإذا جاء بمستأجر يظل يومان ويفر خائفًا بعدها، لم يجرؤ ياسر على قرار دخول المنزل والعيش به خوفًا من أن يحدث به كما حدث لعائلته، ليترك لنا هذا المنزل بعد ذلك تلك البصمة الوعرة مطبوعة في سجل هذا الحي، هذه هي القصة وهذا كل ما أعرفه عنها.

نظر كريم نحو خالد بتعجب بعدها نظر نحو السيد إبراهيم وقال:

_كيف هذا؟ الكلام غير معقول ولا يدعو للتصديق أبدًا، كيف يحدث هذا؟ بالتأكيد هناك من أخفى جثتهم أو.. لا أعلم لكن هناك سر، هذا ليس معقول على العقل البشري أبدًا!!

هز خالد رأسه يقول بعدم تصديق:

_معك حق، بالتأكيد هناك سر ما؟!

هز السيد إبراهيم كتفيه يقول:

_لكن هذا ما نعلمه نحن ولا أكثر من ذلك.

هز خالد رأسه ببطء وبعدها توقف وشكر السيد إبراهيم وكريم كذلك وبعدها غادروا الورشة، ليتحرك خالد معه وهو يقول:

_أخبرك بشيئًا؟

ركل كريم الحصى التي كانت أسفل قدمه وبعدها رفع نظره نحو خالد بعد سؤاله وقال:

_بالتأكيد قل ما شئت!

تنهد خالد وتحدث وهو ينظر له أثناء سيرهم:

_حينما كنا بالمنزل رأيتُ ياسر هذا الذي استأجرت منه المنزل، كان يفعل شيئًا بجوار الشجرة الملتصقة بالمنزل، وعندما أحس بشخص ما يراقبه تخفى وبعدها غادر سريعًا، كنا حينها بعد منتصف الليل، وقد رأيته من شرفة المنزل؛ لأن ملك كانت خائفة بعدما استمعت لصوت دق فخرجت أنظر من الشرفة لأعلم من أين هذا الصوت ورأيته حينها.

توقف كريم ونظر نحو خالد وقال:

_ماذا؟ ولماذا لم تقل هذا من قبل! وكيف تمرر شيئًا كهذا!!

هز خالد رأسه بضيق وقال:

_فكرت أنه لربما كان يخفي شيئًا يخصه هناك فهذا منزله، وهو كان بالخارج جوار الشجرة لذا لم أفكر بشيء سيئ!

صمت كريم يفكر قليلًا وبعدها قال:

_إذا كنا نود معرفة إذا كان يخفي سرًا ما أو يفعل شيئًا خطيرًا، يجب أن نفعل شيئًا واحدًا!

ضم خالد حاجبيه وقال:

_وما هو؟

نظر كريم نحو المنزل الذي أصبحوا قريبين منه وقال بغموض:

_يجب أن نظل بالمنزل ونراقبه، وسنفعل شيئًا آخر تعالى معي لأخبرك ما هو!

****

فصل 4

"مفاجأة"

بقلبٍ مشفق على ما وصلت إليه من حال، بتفكيرٍ لم ينتهي منذ البارحة، على من يكون الحق؟! شاب بسيط كل مطالبه في الحياة أن يعيش بسلام يسعى دومًا والنتيجة هي اللا شيء، حتى أحلامه البسيطة لم يستطع تحقيقها، هو فقط يود بيتًا صغيرًا يجمعه مع عائلته الصغيرة، وعمل يعيش منه وما يقابله في الحقيقة هو الغلاء، كل شيء يزداد سعره إلا شيئًا واحدًا فقط؛ سعر تعبه وجهده، راتبه الثابت منذ بدأ العمل بل أحيانًا يقل إذا قرر أن يغير العمل لذلك لا يستطيع، لا توازن هنا في الحقيقة!

تنهيدة عميقة خرجت من بين ثنايا روحها، هي لا تلومه هو! هي تلوم الظروف، الشيء الوحيد الذي تستطيع إلقاء اللوم عليه، أخذت كوبًا فارغًا ووضعته فوق الرخام، والتفتت تبحث عن السكر، وعندما وجدته بدأت تُعد لها كوب الشاي الساخن، أطفأت النار على أبريق المياة الساخن ثم أمسكته

بقطعة قماش صغيرة، وتحركت تصب منه داخل كوبها، لم تشعر بامتلاء الكوب إلا عندما تساقطت بعض القطرات خارجه، لتشهق بانتباه بعدما سرحت بلا وعي منها، أمسكت الملعقة وبدأت تقلبه، ودخلت شقيقتها في تلك اللحظة بملامح متهيبة، فنظرت لها ملك بقلق وقالت:

_ماذا هناك يا أروى، هل حدث شيء جديد؟

فركت أروى بجوار جبهتها، ثم زفرت بضيق وقالت وهي تهز رأسها بنفي:

_ليس خيرًا أبدًا، كنت أتحدث مع كريم؛ لأعرف منه أين بات هو وخالد البارحة، هل تعلمين أين! وماذا يفعلون هذان!

ضمت ملك حاجبيها بتعجب من حالتها، بعدها فتحت فمها لكي تتحدث لكنها صمتت تفكر لثوانٍ قليلة، وبعدها نظرت لها سريعًا تقول بفزع:

_لا تخبريني بأنهم قضوا ليلة أمس بهذا المنزل المخيف؟!

هزت أروى رأسها بالإيجاب بملامح يكسوها الأسف والقلق!

أغمضت ملك عينيها بغيظ شديد، وبعدها فتحتها وقالت بحدة وضيق:

_يا الله سأصاب بشلل بسبب زوجي حتمًا، هل بعد ما حدث ذهب إلى هناك مرة أخرى! وكيف يوافقه كريم زوجك بهذا الأمر، قلت لكِ لا توافقيه وأنا سأذهب لبيت أبي ويعود هو هنا.

ظلت تجول المطبخ ذهابًا وإيابًا بغيظ شديد وتتحدث بقلق:

_بماذا يفكران هما، هذا ليس منزلنا ولا دخل لنا به، لماذا عاد خالد إلى هناك ولماذا يوافقه زوجك؟ أشعر أنني سأصاب بجلطة الآن!!

أمسكت أروى كتفيها توقفها عن الحركة، ثم ربتت على كتفها تحاول تهدئتها وهي تقول:

_من فضلك أهدئي قليلًا حتى نعرف ماذا سنفعل! أخبرني كريم أن هناك سرًا خفيًا بهذا المنزل، ولن يظلوا هناك فترة كبيرة، وهو قد تحدث مع أحد ضباط الشرطة بهذا الأمر.

هزت ملك رأسها تقول بتوتر وقلق شديد:

_وما دخلنا بهذا الأمر! لما يتدخلان بشيء سيصيبهم بالضرر؟!

هزت أروى كتفيها تقول:

_كل شيء سيكون بخير، أخبرتك أنهم تحدثوا مع الشرطة، إذن ليس هناك ضررًا عليهم.

لم تجيبها ملك بل صمتت لدقائق تجول بعيناها داخل المطبخ، لكن عقلها كان منشغل بالتفكير، نظرت نحو أروى فجأة وقالت:

_سنذهب لهم!

رفعت أروى حاجبها وقالت:

_أختل عقلك أنتِ أم ماذا؟ ألستِ كنتِ مزعورة بالأمس من هذا المنزل، كيف سنذهب إلى هناك اليوم إذن؟ وماذا عن الأولاد!

زفرت ملك وقالت:

_سنأخذهم إلى منزل أبي وبعدها نذهب إلى حيث خالد وكريم، إذا ذهبنا لهم هناك سيضطران للعودة معنا من أجلنا، ونخبرهم أيضًا أن يتركان أمر هذا المنزل للشرطة تتصرف به حيث تشاء هي، أنا صراحة خائفة عليهم بشدة ماذا إذا أختفوا هناك بهذا المنزل كحال أصحابه، ماذا سنفعل حينها؟؟

تنهدت أروى وقالت:

_أنا أيضًا خائفة مثلك لكن ماذا إذا لم... أقل لكِ هيا بنا ويحدث ما يحدث!

ابتسمت ملك براحة لموافقتها وتحركان سويّا للخارج حتى يستعدان للذهاب.

****

أصدر الباب صوت صرير قوي دلّ على حركته، وظهر الصوت واضحًا بسبب الهدوء الذي كان يَعُم المنزل، خرج كريم من المطبخ وهو يقول:

_هل عدت يا خالد؟

نظر حوله فلم يجد أحدًا، ضم حاجبيه وهز كتفيه دلالة على تخطيه الأمر، ثم عاد للمطبخ ثانيًا يُكمل إعداد فنجان القهوة، فأمسك الملعقة مرة أخرى وقبل أن يضع القهوة لاحظ خيالًا لشيء ما خلفه، فالتفت سريعًا بخضة، لكنه لم يجد أحدًا!

خرج من المطبخ ونظر على كل شيء حوله وبعدها قال باضطراب:

_ماذا يحدث هنا!!

تحرك للخارج نحو الطاولة الموجودة في غرفة الجلوس حيث وضع هاتفه، ليجد في تلك اللحظة باب المنزل يُفتح، فالتفت نحوه بخضة، ليجد خالد أمامه فتنهد براحة.

نظر له خالد بتعجب وقال:

_ماذا بك؟ هل حدث شيء؟!

زفر كريم بتوتر وبعدها تنهد وقال:

_لا أعلم! لكنني أشعر بأن هناك شيء غريب يحدث، الباب كان يُغلق بمفرده، وكان هناك ظلًا لأحد خلفي وعندما استدرت لأرى من، لم أجد أحدًا!

ضم خالد حاجبيه وتحدث باستغراب:

_يمكن أن يكون هذا تهيؤات فقط، أو قد يكون الباب أُغلق من الهواء لا تُوتر نفسك، لا يوجد أحد هنا ونحن نعلم ذلك.

هز كريم رأسه بإيجاب ثم قال:
_ممكن!

بعدها أشار لداخل المطبخ وقال:
_سأُكمل إعداد القهوة، أصنع لك فنجانًا معي؟

هز خالد رأسه بالموافقة، وأخبره أنه سيتصل بالضابط عصام ليعلم منه ما التجديدات؛ حتى ينتهيين من هذا الأمر.

كان يضع خالد الهاتف على أذنه ويتحدث مع الضابط، وبعد دقائق قليلة أغلق معه، وأثناء انشغاله بالهاتف لاحظ خيالًا من جانبه يرقض سريعًا، فالتفت نحوه بسرعة، لكنه لم يجد أحدًا! تحرك نحو تلك الزاوية البعيدة وظل ينظر في كل مكان بها، وبالفعل لم يجد شيئًا، فعاد سريعًا وهو ينادي على كريم:
_كريم! كريم تعالى إلى هنا.

خرج له كريم من المطبخ وبين يديه يحمل فنجانين القهوة، تحرك ووضعهم فوق الطاولة، ونظر بعدها لخالد وقال:

_ماذا أخبرك؟

التفت خالد نحوه بعدما كان ينظر في نفس المكان وقال:

_لا أعلم لما أشعر الآن أنك معك حق، وأن هناك شيء غريب يحدث!

مال كريم برأسه قليلًا ينظر محل نظر خالد، ورفع أحد حاجبيه وهو يقول:

_ماذا حدث جعلك تُغير رأيك هكذا؟!

أشار خالد نحو ذلك المكان وقال بتنهيدة:

_شعرت بخيال يرقض سريعًا في هذه الناحية، لكنني عندما نظرت لم أجد أحدًا هناك، وتفقدت المكان أيضًا ولم أجد أحدًا!

فرك كريم جبهته وقال بتنهيدة هو الآخر:

_هذا عصام سيلقي بنا في الهلاك حتمًا!!

انتفض الاثنان على صوت جرس الباب، فتنهد خالد وبلع ريقه وهو يقول براحة:

_إنه فقط صوت الباب، من الواضح أن أحدًا ما جاء إلى هنا!

زفر كريم وقال وهو يتنهد بعدما شعر أن الدماء هربت من جسده:

_أنا من عادتي أنني لا أخاف أبدًا، هذه أول مرة أشعر بالفزع هكذا، ما دخلنا بكل هذا! انحرق المنزل بما به ما ذنبي أنا!

ابتسم خالد وهو يهز رأسه وتحرك نحو باب المنزل ليفتحه، وعندما وصل وفتحه وجد ملك وأروى أمامه فقال بتعجب:

_لماذا أتيتما إلى هنا؟

أبعدته ملك قليلًا ودخلت هي وأروى وقالت:

_أتينا لنعلم منكما لماذا أتيتما إلى هنا، ما شأنكما بهذا المنزل وما به؟ أنتما لا تخافان على أنفسكما؟!

تحرك كريم نحوهما وتوقف أمام أروى وقال بغيظ وهو يمسكها من ذراعها:

_هل أنتِ مجنونة ألم أشرح لكِ الأمر، ولماذا تركتما الأولاد وحدهم؟ ما بكما لماذا لا تقدران ما نفعله! هذه حركات أطفال صغيرة ليست لأناس من المفترض أنهما عاقلتان مثلكما؟!

نفضت أروى يده وقالت:

_كنا خائفين عليكما يا كريم، وتركنا الأولاد عند أبي بالمنزل.

نظر خالد نحو كريم وبعدها نظر نحو ملك وقال:

_نحن بخير لا داعي لوجودكما الآن، هيا عودا إلى المنزل حتى ننتهي نحن!

أيَّده كريم وهو يقول:

_نعم ونحن لن نظل هنا كثيرًا.

أمسك خالد يد ملك ليأخذها نحو الباب، ودفع كريم أروى برفق للأمام حتى تذهب، لكن فجأة انطفأت الأنوار، فصرخت كلتاهما واندفعت كل واحدة تتمسك بزوجها برعب!

لف خالد يده حول كتف ملك وقال يحاول تهدئتها:

_لا تخافي هذا مجرد انقطاع بالكهرباء ليس هناك شيئًا.

هز كريم رأسه وقال يُطمئن زوجته هو الآخر:

_نعم دقيقة وسيعود، أنا سأذهب لأرى أين العطل، انتظري أنتِ هنا بجوار خالد وملك!

هزت أروى رأسها إيجابًا بخوف، وبعدها تحركت تجاور شقيقتها، واقترب كريم من خالد وأضاء كشاف هاتفه وبعدها نظر نحوه نظرة فهمها الأخر!

قبل أن يتحرك كريم خطوة، ظهر لهم خيال من بعيد، فصرخت ملك وتمسكت بشقيقتها تبكي بفزع، والأخرى أمسكتها وهي تحاول التماسك وقلبها يتواثب بين ضلوعها.

أُضيئت الأنوار مرة أخرى، فنظر خالد نحو كريم ورفع حاجبه باستنكار! التفت كريم ينظر نحوه بعدما لمح خيالًا نحو الباب خارج المنزل، فهز رأسه يشير تجاه الباب وبعدها تنفس بقوة ونظر نحو أروى، ثم عاود النظر نحو خالد وقال:

_خالد أنا أشعر أن هناك مؤامرة مدبرة على الأرجح أو هذا أحد يلعب بنا لغرض ما!

ضم خالد حاجبيه يقول:

_لماذا تقول هذا الكلام؟

صمت كريم وبدا عليه التفكير، وبعدها نظر لخالد وقال بهدوء:

_سنعرف كل شيء الآن، خذ أنت ملك وأذهبا نحو تلك الشجرة التي رأيت ياسر بجوارها، تحقق من المكان جيدًا من الممكن أن يكون قد حفر حفرة هناك ويُخبئ بها شيئًا، تفقد المكان والأرض التي تجاور الشجرة والمنزل، وأنا و أروى سنعيد البحث داخل غرفة المخزن التي سمعوا من داخلها الأصوات والصراخ، لو ما أشعر به صحيح فقد تكون هذه ألاعيب، وأن تلك الأصوات تصدر من جهاز لتخيفنا فقط ولغرض ما لا أعلم سببه حتى الآن، لكن إن وجدنا شيئًا يدلنا سنعلم حتمًا!

تحركت أروى للخلف تشير لنفسها وهي تقول بخوف واستنكار:

_لحظة فقط قبل هذا الإتفاق؟ هل قلت الآن أن منْ ستذهب معك لداخل غرفة المخزن هي أروى؟!

زم كريم شفتيه وقال بغيظ:

_ماذا بكِ يا أروى أنا سأكون معك.

برقت أروى وقالت بخوف ونبرة أشبه بالبكاء:

_وماذا إذا كنت معي! لو حضر أي شبح كيف ستتصرف معه أنت؟ وماذا إذا اختفينا أيضًا؟!

هز كريم رأسه من هذه المجنونة ثم بعدها قال بتنهيدة:

_قلت لكِ لا تقلقي لن يحدث شيء أبدًا.

هزت رأسها وهي تتراجع للخلف بقلق، فزفر كريم وبعدها نظر نحو خالد وقال:

_ليس هناك مشكلة، أروى ستذهب للبحث معكم، وأنا سأدخل وأبحث داخل الغرفة بمفردي، هيا نبدأ

الآن حتى ننتهي من هذه الورطة، وإن لم نجد شيئًا سنغادر من هنا ونخبر الشرطي بأننا لن يكون لنا أي علاقة بهذا المنزل من الأن.

اومأ له خالد وأخذ ملك وحث أروى على السير معهم، لكن بعدما تحرك كريم خطوتين بإتجاه غرفة المخزن أوقفته أروى بصوتها وهي تقول بحسرة:

_كريم انتظر، من الواضح أن قلبي اللعين لن يتركك تواجه الجحيم وحدك، سنذهب للهلاك سويًّا يا رجل!

ضحكت ملك وكذلك خالد، وهز كريم رأسه وهو يبتسم عليها، فتحركت بجواره متجهين نحو تلك الغرفة، وتحرك خالد ومعه ملك نحو خارج المنزل.

توقف كريم أمام غرفة المخزن، وتلك تقف خلفه تتمسك بقميصه وتقف على أطراف أصابعها لترى

من فوق أكتافه، مد يده نحو مقبض الباب ليفتحه لكنه زم شفتيه يقول بغيظ:

_أروى حبيبتي أتركي القميص، لا أتحرك بسهولة بسبب تشبثك به، أتركيني حبيبتي حتى أخذ حريتي في الحركة.

أبعدت يدها عنه بعنف وهي تقول:

_لماذا لا تتحملني أنا خائفة، يجب عليك تحملي كما تحملت المجيء معك!

التفت نحوها وقال:

_لا داعي لفتح مشاجرة على من يتحمل من سأفتح الباب الآن.

عاود ينظر نحو الباب، ثم مد يده وحرك مقبض الباب وفتحه، ثم تحرك للداخل ببطء وهي خلفه، وفجأة صرخت هي برعب وتشبثت به عندما ظهرت فجأة قطة سوداء اللون أمامهم ترقض بفزع.

بلع كريم ريقه وتنهد بقوة وبعدها التفت ينظر لأروى وقال وهو يربت عليها برفق:

_أهدئي هذه مجرد قطة فقط، لا تخافي.

ظل صدرها يعلو ويهبط من شدة تنفسها وبعدها ابتعدت عنه وقالت بنبرة ضعيفة:

_أشعر أن الوضع لن يمر هكذا سيحدث شيء خطير!

هز كريم رأسه وقال وهو يضع يده على الحائط يتحسسه ليعرف مكان الإضاءة:

_إن شاء الله سيمر كل شيء بخير، فقط أحسني النية، والآن ها هو النور أصبح موجود.

جال ببصره داخل الغرفة، ليجد خزانة قديمة بعض الشيء تتخذ مكانها في الجانب الأيمن من الغرفة، وعلى الجانب الأيسر كان هناك عدة صناديق خشبية لونها باهت تتراكم فوق بعضها البعض،

وبعيدًا عنهم كان يوجد أريكتان قديمتان قماشهم ممزق، وعدة أخشاب مستطيلة مائلة على الحائط، وسلم حديد يتوسط الغرفة، وفي الجهة الأمامية كان هناك كرسي ذو أذرع وفوقه صندوق كرتوني بداخله ملابس قديمة ظاهرة؛ لخروجها عن سطح الصندوق، ومجموعة من الأخشاب مربعة الشكل ملقاه بإهمال بجوار الكرسي.

نظرت أروى حولها وقالت وهي تزم شفتيها:

_معظم الأشياء هنا مليئة بالغبار، أعتقد أن هذه الغرفة لم يدخلها أحد منذ زمن!

هز كريم رأسه يوافقها وقال وهو يتحرك نحو الخزانة:

_أبحثي فقط معي الآن حتى ننتهي سريعًا.

تحركت أروى تجاه صندوق الملابس وهي تقول بغيظ وهمس:

_منذ خطت قدمي داخل هذا المنزل العجيب وأنا لا أفعل شيئًا سوى البحث والتفتيش فقط!!

بحث هو داخل الخزانة لكنها كانت فارغة، وبقية الغرفة ليس بها إلا أشياء بالية لا تصلح للبحث بداخلها، وهي أيضًا لم تجد شيئًا داخل صندوق الملابس.

توقف كريم وزفر بضيق وهو يقول:

_لا يوجد شيء هنا، ولم يحدث شيء أيضًا! كيف جاءتكم أصوات من داخل الغرفة هنا؟!

نظرت له أروى وهزت كتفيها بلا علم.

أشار لها أن يتحركوا للخارج ليرا إلى ماذا توصل خالد مع ملك، تحرك كريم نحو الإضاءة حتى يغلقها، لكنه توقف وضم حاجبيه ثم التفت مرة أخرى نحو الحائط الأمامي ونظر إليه بتمعن،

لاحظت أروى نظرته فنظرت لما ينظر بعدها نظرت نحوه وقالت بتعجب:

_إلى ماذا تنظر أنت؟

أشار بجوار الكرسي ذي الأذرع الذي يقع أمام الحائط الأمامي وقال وهو يضم حاجبيه:

_هناك شيء غريب يظهر من أسفل تلك الأخشاب المربعة!

تحرك نحوهم ومال قليلًا يسحب تلك الأخشاب بعيدًا، وهي تتابعه بتعجب وعدم فهم حتى أزالهم، رفعت حاجبها بصدمة عندما أزالهم فكان هناك باب حديدي مربع الشكل في أرضية الغرفة!!

اعتدل كريم ونظر لها وقال بتفكير:

_يوجد سر خفي هنا، سيُكشف الآن!

****

توقفت تزفر بضيق وهي تقول:

_لا يوجد شيء هنا يا خالد، أنت وكريم ترقضان خلف سراب وتحاولان بلا فائدة، ماذا سيوجد هنا؟!

تنهد خالد ونظر لجميع الحفر التي حفروها بالقرب من الشجر الملتصق بالمنزل وقال:

_أنا متيقن من أنه كان يفعل شيئًا هنا! بالتأكيد جاء مرة ثانية و....

برق عينيه نحو شيئًا ما وقال بدهشة:

_أنظري هناك؟

التفتت هي سريعًا حيث ما يشير فلم تفهم شيئًا التفتت نحوه حتى تستفسر منه، لكنها عاودت سريعًا تنظر في نفس الإتجاه مرة أخرى عندما لمحت شيئًا ما، فتحركت خطوتين حتى أصبحت بجواره والتصقت به تقول بخوف:

_خالد هناك طرف لأحد الشكائِر، قد يكون به قتيل!!

جاء أن يتحرك أمسكته سريعًا وقالت:

_ماذا ستفعل؟ هل جننت؟ ماذا إذا كان قتيل بالفعل! ما دخلنا نحن بهذا؟

أزاح خالد يدها وقال بتنهيدة:

_لا داعي للخوف، نحن نبحث من البداية من أجل معرفة الحقيقة، والضابط يعلم أن ليس لنا دخل بالمنزل، فقط لا تقلقي وأتركيني حتى أرى ماذا يوجد هناك.

تنهدت بقلق ثم هزت رأسها له وهي تبتعد عنه قليلًا، فتحرك هو نحو الجزء الخلفي للشجرة الملاصقة للمنزل من جهة اليمين، مال قليلًا يسحب ذلك الكيس الكبير الذي يشبه الشكائر، لكنه فوجئ بميل جزء من خشب الشجرة، فالتفت ينظر نحو ملك بتعجب! ثم عاود النظر نحو الشجرة وسحب

ذلك الكيس مرة واحدة حتى أخرجه كاملًا، ليجد قطعة مستطيلة من الخشبة البنية للشجرة تميل للخارج، مد يده وسحبها ببطء حتى خرجت معه بشكل مشابه لفتح باب، انتهى من تحريكها بالكامل ليظهر باب من خلفها يعلو منتصف طوله هو!

وضعت ملك يدها على فمها تقول بانبهار وعدم تصديق:

_لقد قام بفعل باب سري من خلال الشجرة؟!

كان خالد يتابعه بعينيه جيدًا ثم قال:

_هذا الباب سيؤدي لمكان سري يقع أسفل المنزل!! لكن ماذا يُخبئ به؟

هزت رأسها تقول بنبرة منبهرة:

_بالتأكيد مجوهرات غالية الثمن، وقطع من الذهب الخالص! هذا أقل شيء.

هز خالد رأسه بالنفي هو لا يعتقد ذلك، نظر لها وقال:

_تعالي معي لنخبر كريم ونأتي به هو وأروى هنا حتى ندخل سويًّا ونعلم الحقيقة.

هزت رأسها وتحركت أمامه وهو خلفها نحو المنزل.

دخلا بإتجاه غرفة المخزن، ليجدان الآتي؛ كريم يجثي على الأرض ويحاول فتح قفل لباب حديدي يقع بأرضية الغرفة، وأروى تقف وتتابعه وبيدها عصا خشبية، وعندما شعروا بهم التفتوا نحوهم وكان كريم أول المتحدثين:

_أنظر ماذا وجدنا! أعتقد أن هذا الفتى أو أحدًا من عائلته قام بعمل مكان سري هنا أسفل تلك الغرفة.

ابتسم خالد الآن فهو قد فَهِم بعض الأشياء ليقول بتوضيح:

_نحن وجدنا بأحد الأشجار الملاصقة للمنزل باب مخفي خلف خشب الشجرة، ومن الواضح أنه يؤدي إلى أسفل تلك الغرفة! من الظاهر أنه فتى خبيث ويفعل شيئًا ما خطير! وقد يكون هو أيضًا من يفعل تلك الألاعيب بالمنزل.

هز كريم رأسه وعاود يحاول فتح ذلك الباب، فتحرك خالد يبحث بأرجاء المنزل عن شيء يساعدهم.

وبعد مدة فتحوه أخيرًا، لينظروا لبعضهم البعض بابتسامة فرحة لوصولهم لمبتغاهم.

نظر خالد لما يوجد بالأسفل وقال:

_هناك سلم قصير، سننزل تدريجيًا خلف بعضنا البعض والرجال يكونا أولًا؛ لأننا لا نعلم ماذا يوجد بالأسفل!

هز الجميع رأسهم بالموافقة، فنزل خالد أولًا وخلفه كريم ثم أروى وتبعتهم ملك.

توقفوا بعد أن نزلوا من على السلم، ليجدوا ممرًا قصيرًا وضيقًا بعض الشيء ليتحركوا ببطء بالتتابع وراء بعضهم.

ظهر لخالد سلسال طويل من الحديد فتحرك نحوه وهم خلفه، حتى دخلوا لمكان أوسع، وهنا تصنموا جميعهم وهم يتابعون نهاية سلسال الحديد!

أمسكت ملك بأروى وصرخت بخضة، وأغمضت أروى عينيها وهناك قشعريرة سرت بجسدها، وخالد وكريم ينظرون لبعضهم بصدمة وعدم فهم.

انتهي السلسال بأصفاد حديدية، تلتف على أيدي فتاة ملقاة أرضًا، قدماها مكبلان بالسلسال الحديد، ويداها مكبلان بالأصفاد، ترتدي ملابسًا باهتة ومقطعة من أماكن متفرقة؛ ليظهر بوضوح أنها من أثر

التعذيب، بعض الدماء الجافة كانت على أجزاء من وجهها ويديها وقدميها، وهناك بعيد قليلًا عنها كيس أسود اللون ضخم وهيئته تقول أن بداخله جُثة بشرية!

وضعت أروى يدها على فمها وقالت دامعة:

_ما هذا؟ هل صاحب المنزل مجنون! إنه يفعل هذا المكان ك قبو يُخبئ فيه ضحاياه؟!

فتحت تلك الفتاة عيونها ونظرت نحوهم بضعف، فانتفضت ملك وقالت صارخة:

_إنها حَيَّة؟؟

نظر لها كريم وقال:

_هل تسمعيننا؟ من أنتِ؟

حركت الفتاة فمها تحاول الحديث حتى خرج منها صوت ضعيف تقول فيه:

_ أ أ أأ.. أنا جميلة!

نظر كلًا من خالد وكريم لبعضهم يقولان بصدمة:
_نعم؟!

نظر لها خالد ثانيًا وقال بعدم استيعاب:
_جميلة مَنْ؟

رمشت بعينيها وقالت ببطء وعياء:
_ج م يلة...جميلة راشد الزيّاد.

كانت هذا آخر ما قالته قبل أن تُغمِض عيناها وتسقط في دوامة سوداء تفقد من خلالها وعيها!

****

فصل 5

"كشف المستور"

أحيانًا نتألم ونتحمل من أجل قرارات أتخذها السابقون، ليس لنا دخل بها، نحن فقط وقعنا في عبء تنفيذها دون أن يكون لنا الحق في الموافقة أو الاختيار، قد تقع أسرة كاملة في نزاع طوال حياتهم من أجل قرار أتخذه كبيرهم قبل وفاته، نظرًا لأنه رأى الموضوع من وجهة نظره هو فقط!

أمام إحدى الغرف بالمستشفى، كان يقف كلًا من خالد وكريم مع أحد ضباط الشرطة وعلى مسافة قليلة منهم تجلس ملك ومعها أروى.

نظر خالد نحو الغرفة التي بها جميلة، وبعدها عاود النظر جهة الضابط وقال يوجه حديثه له:

_هل كنتم تعلمون أن هذا ياسر يُخفي ابنة عمه في داخل المنزل؟

نظر له الضابط عصام وقال بنبرة هادئة:

_بالتأكيد لا، لو كنا نعلم لماذا إذن كنا ننتظر كل تلك الفترة، ولماذا تحدث معي كريم واتفقنا هذا الاتفاق.

تنهد الضابط عصام ثم أكمل:

_الأمر كان به شكوك، لذلك استدعينا كل المستأجرين للمنزل لنعلم منهم ماذا رأوا أو شاهدوا، وكل قصصهم كانت تدور حول أشياء بسيطة ك التي حدثت معكم من صراخ أو حركات غريبة بالمنزل، وهذه أشياء يمكن لأي شخص فعلها، وهنا بدأت شكوكنا حول ياسر بأنه يفعل هذا ليخيف الناس جميعهم من المنزل أكثر، حتى لا يقترب أحد من هذا المنزل، وهذا بالفعل ما حدث!

ابتسم كريم وقال:

_في الحقيقة عصام صديق لي كما أخبرتك ياخالد، وبعد الذي حدث مع ملك وأروى بالمنزل وما حكياه لنا، وبعد ذهابنا أيضًا إلى هذا السيد إبراهيم النجار

وما سمعناه منه، قررت حينها أن نتحدث مع عصام و نقص له هذه الحكاية، عندما أخذتك له بعدها واتفقنا بالفعل سويًّا حينها!

هز خالد رأسه بتفهم ثم بعدها قال بتعجب:

_لكن لماذا يفعل كل هذا؟ ولماذا كان يُخفي ابنة عمه، ولماذا قتل والدتها؟ وهل هو من تسبب في قتل بقية العائلة أيضًا؟ وأين جثثهم؟ لماذا فقط من كانت جثتها موجودة بجوارها هي جثة أمها؟ كل هذه الأسئلة تدور في ذهني الآن!!

زفر الضابط عصام وقال:

_لقد تم إلقاء القبض على ياسر منذ ثلاث ساعات فقط؛ لأنه تقريبًا عَلِم بكل شيء، وكاد أن يهرب وقبضنا عليه بالمطار في اللحظة الأخيرة قبل هروبه، ولم يتحدث لكننا سنواصل التحقيق معه، لكن ننتظر أن تفيق ابنة عمه جميلة؛ لأنها هي من ستخبرنا بالحقيقة.

هز خالد رأسه بتفهم ثم تحرك نحو زوجته وجلس بجوارها ثم همس لها:

_هدئتي الآن أم ما زلتِ تشعرين بالخوف؟

هزت ملك رأسها وهي تقول له:

_أصحبت أفضل الآن، لكن المنظر كان صعبًا للغاية لا يذهب من خيالي!

ربت على كتفها يقول بابتسامة هادئة:

_لو كنت أعلم أن الأمر هكذا لما كنت جعلتك تنزلين معنا، لكن حدث ما حدث! فقط لا تفكرين في الأمر.

هزت رأسها له بابتسامة صغيرة، في تلك اللحظة انتبه الجميع لخروج الطبيب، فاقترب منه الضابط عصام ومعه كريم وتحرك خالد نحوهم.

نظر الضابط عصام للطبيب وقال:

_أخبرنا كيف حالتها الآن؟

تنهد الطبيب وقال:

_حالتها صعبة للغاية! تعاني من إرهاق جسدي بالإضافة لإرهاق وتعب نفسي شديد، وكلما تفيق تصرخ بقوة ولا تهدأ، أعتقد أنها تعرضت لصدمة أو ما شبه، لذلك تحتاج لوقت حتى تعود لحالتها الطبيعية ويمكنك بعدها الحديث معها واستجوابها.

هز الضابط رأسه ثم شكره وبعدها غادر الطبيب.

نظرت أروى لملك وقالت بنبرة هادئة:

_مسكينة فقدت كل عائلتها بسبب ابن عمها المريض هذا! بل لا أتخيل أيضًا أن جثة والدتها كانت بجوارها هكذا؟! الله معها.

هزت ملك رأسها وقالت بشفقة:

_معكِ حق!

غادر الضابط وأخذ كريم زوجته، وخالد أيضًا أخذ زوجته وغادروا.

****

مر شهر كاملًا بلا جديد، جميلة مازالت بالمستشفى، الضابط عصام لا يزال يستجوب المدعو ياسر لكنه لا يستجيب، خالد وجد شقة وانتقل إليها مع زوجته وابنه، وكريم عاد لحياته مع زوجته وأبنائه، لكن لازال بداخل كل منهم فضول لمعرفة ما الحقيقة؟!

فتحت عينيها لكنها أغمضتها سريعًا عندما اصطدمت بإضاءة الغرفة، حاولت عدة مرات حتى اعتادت على إضاءة الغرفة، دارت عيناها داخل الغرفة حتى انتهت عند يدها المُتصلة بالمحاليل، تنهدت بقوة كل مرة تفيق على أمل أنها كانت

بكبوس لكنها تصطدم بالواقع المرير داخل غرفة بالمستشفى، التفتت على دخول أحد، لتجد أمامها فتاتين نعم نفس الفتاتين رأتهم عندما أفاقت في المرتين السابقتين.

تقدمت منها ملك وقالت بابتسامة:

_الحمد لله على سلامتك.

اقتربت أروى أيضًا وتوقفت بجوار شقيقتها وقالت بابتسامة هادئة:

_أصبحتي أفضل بكثير من ذي قبل الحمد لله، المرتان السابقتان كنتِ تفيقين لمدة دقيقتين وبعدها تصرخين ولا نقدر على الحديث معك.

هزت جميلة رأسها بهدوء لهم، بعدها أغمضت عينيها وذكرياتها تتداهمها حتى تساقطت الدموع من عينيها بلا صوت!

نظرت ملك نحو شقيقتها بشفقة على تلك المسكينة، بعدها اقتربت منها واخذت تربت على كتفها وهي تقول بنبرة هادئة:

_نعلم أنكِ مررتي بأشياء صعبة للغاية، لكن إذا ظللتي على هذا الحال لن ترتاحي أبدًا، يجب أن تفيقي لنفسك وتخبري الضابط بما حدث حتى يأخذ حق عائلتك من هذا المجرم، وحتى ترتاحي أيضًا!

شهقت جميلة أثناء بكائها وقالت بمرارة:

_كان كل شيء بخير، وفجأة دُمر كل شيء، لا أعلم كيف ومتى حدث كل هذا؟! فقط وصية من جدي جعلت الأخوة يكرهان بعضهم ويتعاركان، ومن ثم ينتقل الحقد والكره للأبناء بلا أي سبب أو مبرر، حتى... حتى انتهى كل شيء!

نظرت لها أروى بأسف وقالت بحزن عليها:

_أحيانًا يقع الألم من نصيبنا دون أن يكون لنا يد به، لكن هذا نصيب! وليس بيدنا إلا التحمل والصبر

فقط، هذا بلاء من الله ليختبر صبرك وقوة إيمانك وأجرك عليه سيكون عظيم، وما أجمل كرم الله!

وضعت جميلة يدها على جبهتها تقول بألم وهي تحاول كتم شهقاتها:

_لكن هذا أكبر من قوة تحملي، أنا لن أقدر على هذا، لم يتبق لي أحد لما أعيش بعد ذلك؟! لما يا رب!! استغفر الله!

قالت آخر كلمة ودخلت في نوبة بكاء شديدة، فجلست أروى أمامها وضمتها وأخذت تربط على ظهرها بحنان، حتى بدأت تهدأ شيئًا فشيئًا.

ابتعدت عنها أروى ببطء ثم قالت لها:

_الضابط عصام بالخارج ويوّد معرفة ما حدث منك؛ لأنهم قبضوا على ابن عمك وهو لا يتحدث أبدًا.

تنهدت جميلة ثم هزت رأسها لهم بهدوء ورفعت يدها تزيل أثر الدموع من على وجنتيها، فتحركت أروى نحو الباب حتى تخبرهم بالخارج، لكنها توقفت على جملة جميلة وهي تقول:

_شكرًا لكما، لا أعلم من أنتما وكيف علمتما بالأمر لكن كل مرة كنت استيقظ بها كنت أراكما بجواري، فحقيقي شكرًا جدًا.

ابتسمت كلتاهما لها ومن بعدها تحركت أروى للخارج، وأخبرت الضابط الذي كان يقف بالخارج مع كريم وخالد بأنها تنتظره حتى تقص عليه ما حدث.

دق الضابط عصام على الباب مرتين حتى أذنت له، فدخل وتوقف على مسافة من السرير الراقضة هي عليه وقال:

_حمدًا لله على سلامتك أنسة جميلة.

ابتسمت جميلة بتكلف وقالت بنبرة هادئة:

_شكرًا لك.

تنهد الضابط وقال:

_مستعدة الآن لتخبريني ماحدث؟

هزت رأسها بهدوء، فتحرك وسحب كرسي وجلس مقابل السرير الخاص بها، ونادى على شخص ما من الخارج ليسجل ما ستقول.

نظر لها وقال بهدوء:

_اتفضلي؟

صمتت هي لا تعرف من أين تبدأ؟! لكنها تنهدت بقوة وقررت أن تقص من البداية فقالت:

_كل شيء بدأ بعد عودة عمي كامل من سفره مع زوجته، لم يمر فترة طويلة بعد عودته وبدأ شجار دائم بينه وبين أبي، وبينه وبين جدتي أيضًا، بعدها علمت أن هذا الشجار سببه الإرث، وأن عمي يوّد

حقه في المنزل وفي الأملاك، لكن كان رد جدتي وأبي هو أنهم لا يعرفون أي شيء ولا يعرفون أيضًا أين أوراق الأملاك التي تثبت حقهم؛ لأن جدي الكبير شاكر الزيّاد قد أخفاهم قبل وفاته، كانوا يقولون أنه قد بنى هذا المنزل لزوجته وكان يحبها للغاية، وهي من اقترحت عليه فكرة هذا المنزل وهيئته أيضًا لذا كان لا يوّد من أحفاده من بعده بيعه ففعل هذا، في بداية الأمر كنت أشعر بالشك كيف لا نملك أي شيء يدل على ملكيتنا لمنزلنا حتى! لكن ذات يوم أخبرتني جدتي ومعها أبي أن جدي قد وضع لهم وصية وهي أن أول حفيدة فتاة تسمى على اسم جدتها جميلة؛ وهي زوجته وحبيبته، وأن تأخذ الكتاب الذي كتب به قصة حبه هو وجميلة زوجته، وعندما تنتهي منه ستعرف أين وضع أوراق الأملاك.

صمتت جميلة وتنهدت بعمق ثم قالت تُكمل حديثها:

_أبي هو من أنجب الفتاة وعمي أنجب ولد وهو ياسر، لكن جدتي أخبرتني أن لا أُخبر أي أحد بهذا الأمر؛ لأن لو عمي عَلم بشيء ستكون هناك مشكلة

كبيرة، وهو لن يهدأ أبدًا ولن تمر الأمور على خير، وأعطتني الكتاب بالفعل كنت في البداية أعتقد أنه كتاب عادي لكن بعد ذلك علمت كل شيء بعدما بدأت قرأته، وعندما كانت تزداد المشاكل بين أبي وعمي وجدتي كنت أحاول أن أنتهي من هذا الكتاب؛ لأعلم أين مكان الأوراق التي تثبت الأملاك، وننتهي من هذا الشجار القائم ويرتاح أبي، ويهدأ عمي أيضًا، لكن أنا انتهيت منه ولم أعلم أين الأملاك، الكتاب كان ممتلئ بالألغاز وتحتاج لوقت لفهمها، وأنا كنت دائمًا متوترة وخائفة مما يحدث لذلك لم أستطع فهم أي شيء من كلام جدي، حتى..حتى جاء هذا اليوم الذي تغير من بعده كل شيء!!

صمتت وكأنها تستعيد ما حدث بعقلها، فهز الضابط عصام رأسه واخذ كوب الماء من جواره ومد يده لها به، فأخذته منه وارتشفت منه القليل وبعدها وضعته بجوارها، فقال هو يحثها على التكملة:

_ماذا حدث بهذا اليوم؟

هزت رأسها وبدأت تُكمل له:

_زوجة عمي كانت تعاني من مرض شديد وظلت به لمدة حتى توفت بالمستشفى، عمي عندما عاد من سفره كان هو وزوجته فقط وياسر ابن عمي لم يَعُد معهم، لكن جاء عندما علم بخبر وفاة والدته، عندما عاد من سفره كان مر على وفاة والدته ثلاثة أيام، وعندما وصل إلى المنزل أخذه والده إلى غرفته، لا نعلم ماذا حكى له أو ماذا أخبره عنّا! لكن بعد ذلك كان يتحدث معنا بطريقة بشعة، وكلامه أصبح كله إتهام كأبيه، في هذا اليوم الذي أخبرتك عنه ذهبت لغرفة جدتي، كنت أُخبرها بأنني انتهيت من قراءة الكتاب لكنني لم أفهم شيئًا وإلى الآن لم أعرف أين أوراق الأملاك!! حتى أنني لا أعرف كيف ارتفع صوتي كنت منهارة للغاية، و...

تنهدت تُكمل له وهي تتذكر تفاصيل اليوم كأنه كان بالأمس.

#عودة إلى وقت سابق!

بالطابق الثاني تحديدًا بغرفة جدة جميلة، كانت تجلس الجدة على سريرها وبيدها مصحف تقرأ منه بهدوء، حتى جاءت لها جميلة التي يظهر على ملامحها الخوف والانهيار الشديد!

كانت عينيها حمراء، وجسدها يرتعش بهزة خفيفة، من الواضح أنها انتهت من البكاء منذ دقائق قليلة، تحدثت جميلة بانفعال وخنقة:

_جدتي متى سننتهي من كل هذا؟ أنا انتهيت من قراءة هذا الكتاب اللعين ولم أفهم شيئًا، لماذا جدي شاكر فعل بنا هذا؟ كان وضع وصية وقال بها أن لا نبيع المنزل، لكن ما فعله هذا ليس جيد.. ليس جيد أبدًا، سيُدمر العائلة بأكملها، ولماذا سميتموني أنا جميلة أشعر دائمًا أن هناك عِبئًا ثقيلًا على قلبي، وأنني من بيدها حل كل هذا، لكن لا أعرف كيف؟

أخذت تبكي وهي تُكمل لها بانهيار:

_عمي كامل يتهم أبي أنه السبب بموت زوجته!! هل هو جن أم ماذا؟ ما دخل أبي؟! هو من قال له يُهمل زوجته؟! وبالنهاية هذا قدرها! ماذا كان

سيفعل، والآن جاء ابن عمي ليُكمل مع أبيه بقية الاتهامات، متى سنرتاح، متى لقد تعبت، أنا تعبت حقًا!!

شهقت بقوة، بعدها صمتت ورفعت يدها تزيل دموعها، نظرت بعدها نحو جدتها وقالت بترجي:

_جدتي أرجوكِ، خذي أنتِ هذا الكتاب وأقرأيه وأعلمي منه أين الإرث، وأعطي عمي وابنه حقهم حتى نرتاح، أرجوكِ هذا الحل الوحيد، بالتأكيد جدي لم يكن يعلم ما سيحدث لذلك وضع الوصية، ونحن الآن بحاجة لأن نُخلف بها، وإلا لن تمر الأمور بخير، وأنا قرأته بالفعل لذا ليس هناك مشكلة في أن نفعل ذلك!

أغمضت جدتها عينيها لثوانٍ قليلة، ثم فتحتهما وتنهدت تنهيدة عميقة وقالت بعدها:

_أذهبي وأحضريه يا جميلة، سأفعل ذلك حبيبتي المهم لا تفعلي هذا بنفسك، ستصابين بالعياء ابنتي.

ابتسمت لها جميلة بفرح وتحركت سريعًا لخارج الغرفة، تركض في الممر نحو غرفة المكتب، حيث آخر مرة كانت تقرأ به هناك، وصلت أخيرًا لداخل الغرفة، تحركت نحو الطاولة التي بالداخل حيث وضعت الكتاب فوقها، توقفت أمام الطاولة وامسكت الكتاب بين يديها ونظرت له وابتسمت براحة، التفتت لتعود حيث جدتها، لكنها وجدت ابن عمها ياسر أمامها، فبلعت ريقها بتوتر هي لا تودّ أن تسمع منه أي كلام لاذع أو أي شيء الآن، فتحركت بهدوء حتى تغادر، لكنه وقف يقابلها يمنعها من الخروج وتحدث ينظر لها بسخرية:

_لقد استمعت لكل الكلام الذي دار بينكِ وبين جدتي، لكن ما أفكر به الآن هو أن ضميركم استيقظ بعد موت أمي؟ أم ستخبرنا جدتك أنها لم تفهم شيئًا من الكتاب أيضًا، وبالنهاية ستكون الحقيقة أنكِ اتفقتي مع أبيك لتأخذوا كل شيء أليس كذلك؟؟

نظرت له جميلة بصدمة وقالت:

_أنت بالتأكيد مجنون أو غبي ليس شيئًا آخر، لو استمعت لحديثنا كما تقول لعرفت أننا لا نكذب!

ضحك ياسر بتهكم وقال بكره، بعدما استمع لآخر كلماتها من أول أنهم سيخلفوا بالوصية أثناء مروره عند غرفة جدته وفهم الأمر بعقله:

_لم أعُد أثق بأحد، لو كنتم بالفعل تودوا إعطاءنا حقنا لأخبرتونا بالحقيقة لكن أخفيتم وأخلفتم بالوصية أليس صحيح؟ زمان كنت أقول عنكِ فتاة بريئة ساذجة بلهاء، لكن اكتشفت أنكِ خبيثة، لكن لا مشكلة لقد تعلمت، والآن سأعرف الحقيقة.

تراجعت جميلة للخلف لتصطدم بالطاولة فقالت بخوف:

_هل جننت يا ياسر، سأخبر أبي بهذا وهو لن يمررها لك على خير!

تقدم منها وأمسك يدها بقوة فوقع الكتاب من يدها وقال هو بحدة:

_لن أتركك حتى تخبريني أين إثباتات الملكية وأين أوراق بقية الأملاك؟

دفعته جميلة تقول بانفعال:

_لا أعرف هل أنت غبي، قلت بالأسفل لجدتي لم أعرف حتى الآن، أنا لا أعرف، لا أعرف، أفهم لا تفعل كأبيك!!

جز ياسر على أسنانه بغيظ وقال بغضب:

_أنا لست ساذجًا كأبي وأخر ما أفعله هو الحديث والعويل فقط، أنا لن أذهب حتى أعرف أين هم وأخذ حقي منكم!

تحدثت جميلة له تقول بنبرة عالية وانفعال:

_الكلام لا يفيد معك، عقلك لا يعمل للأسف، أنا سأذهب لأبي الآن وأجعله يوقفك عند حدك! ولن أسمح لك بالتعد....

صمتت ولم تُكمل حديثها عندما استمعا الاثنان لصوت صراخ قوي قادم من الأسفل، ليركضوا سريعًا نحو الأسفل سويًّا، حتى وصلا لصوت

الصراخ الذي كان قادم من غرفة جدتها وكان هذا الصوت صوت صراخ أمها.

توقفت أمام باب الغرفة ولم تقوى على التحرك للداخل عندما وجدت والدها ملقى أرضًا، وجدتها تجلس بجواره، ووالدتها تجلس على الناحية الأخرى، وعمها يقف بعيدًا بصدمة!

تقدم سريعًا ياسر نحو والده وقال له بعدم فهم وخضة:

_أبي ماذا حدث؟؟

لم يرد عليه أبيه بل لم يبعد نظره عن أخيه!

تحركت جميلة ببطء نحوهم، نزلت لأسفل، وجلست أمام والدها وقالت بنبرة مرتجفة:

_أمي؟ ماذا حدث لأبي هل هو بخير؟ لماذا هو صامت هكذا هل غاب عن الوعي؟؟ جدتي أمي

لماذا لا تجيب أبي بخير أليس كذلك؟ لماذا لا أحد يجيبني؟؟ أحد منكم يخبرني ماذا حدث؟؟

قالت آخر جملتها بصراخ!

وقفت والدتها سريعًا وكأنها فاقت للتو وتحركت وهي تقول برجفة:

_سأتصل بالأسعاف لتأتي وتخبرنا ما به!

تحركت والدتها سريعًا حيث غرفتها ولحقتها جميلة تركض خلفها حتى يخبرا الأسعاف؛ لأن والدتها غير متزنة الآن!

#عودة للوقت الحاضر!

ضم الضابط عصام حاجبيه وقال بتعجب:

_عندما تحدثنا مع الجيران لم يقل أحد منهم أنكم نقلتوا السيد راشد للإسعاف، بل قالوا أن جثته اختفت بعد ساعة تقريبًا من وفاته؟؟

رفعت جميلة يدها تزيل دموعها التي تساقطت أثناء قصها، وبعدها هزت رأسها تقول:

_نعم هذا بالفعل ما حدث! عندما ذهبت أنا وأمي لنتصل بالإسعاف حينها سمعنا طرق على باب المنزل وكانوا الجيران الذين سمعوا بصوت الصراخ، فذهبتُ أنا وأمي للأسفل، وفتحت هي لهم الباب وأخبرتهم أن أبي مريضًا فقط، بعدها عُدنا للغرفة لكن لم نجد أبي!

هز الضابط عصام رأسه منتظر تكملة الحديث من هنا!!

تنهدت وهي تُكمل:

_كنا مذهولين جدتي حينها فقدت النطق ولم تتحدث أو تُجيب على أي شيء، عمي كان يرتجف وابنه بجواره ملامحه مزعورة، وقالوا حينها أن جثة أبي قد اختفت، حديث لا يدخل على العقل أبدًا، وأمي اتهمت عمي حينها بذلك وهو كان ينفي طوال الوقت، حتى أن الشرطة جاءت وفتشنا المنزل ولم نجده، بدأت بعدها الأقاويل تكثُر، ودخلتُ حينها في

حالة صدمة ولم أخرج من غرفتي، لم أكن أصدق أحدًا منهم!

تنفست بقوة وزفرته على مهل ثم قالت تُكمل حديثها وهي تضحك بسخرية وألم:

_مرت عدة أيام كانت كل ليلة والدتي تحاول معي ولا يفيد، حتى سمعت نفس الصراخ مرة أخرى لكن! لم يدهشني ولم يجذبني، كنت لا أشعر بشيء حولي، منذ صدمة أبي لم أشعر بعدها بشيء، حتى وجدت ياسر أتى وأخبرني أن جدتي حدث معها كالذي حدث مع أبي!!

تحدث الضابط عصام هذه المرة وقال باستفسار:

_أنتِ لا تعرفين كيف حدث هذا؟؟

هزت رأسها تقول له:

_أعتذر لك! لكن دعني أُكمل لك، حتى تفهم كل شيء كما حدث، وحتى أخبرك بطريقة مرتبة لأن الموضوع لا يُحكى إلا من البداية للنهاية.

هز لها الضابط رأسه بتفهم وحثها تُكمل الحديث، فعاودت حديثها تخبره ما بعد ذلك:

_في الحقيقة لم أجرؤ على الحركة أو رؤية نفس المشهد مرة أخرى، لكنني عندما فكرت، خفت! خفت أن أجدهم يخبرونني بإختفاء والدتي هي الأخرى!! فتحركت سريعًا حتى أكون بجوارها، وجدتها تجلس في ركن بالغرفة تبكي بقوة، فركضت نحوها وضمتني بخوف، عندما عَلِم جميع من حولنا بالأمر خافوا ولم يجرؤا أحد على المجيء للمنزل بعد ذلك، لكن ما حدث بعد ذلك كان بداية كشف الحقيقة بالنسبة لي!

اعتدل الضابط في جلسته ينتظر ما ستقوله، فقالت:

_كنت اتحرك نحو غرفة أمي لأخبرها بأن نترك هذا المنزل؛ لأنني لست مرتاحة وأشعر بقبضة بقلبي به، لكن أثناء ذلك وجدت باب غرفة عمي

موارب ووجدته مع ابنه يتشاجران بصوت أقرب للارتفاع لكنهم كانوا يخفضوه وأثناء انفعالهم يرتفع، كان يخبره ياسر أن...

#عودة لوقت سابق!

اقتربت جميلة من الغرفة ووقفت بعيدًا عن مرمى الرؤية تسمع حديثهم، تشعر أنهم يعلمان شيء ما وهناك سر يخفونه!

دفع كامل ابنه يقول بغضب وصوت حاول أن لا يرفعه:

_من الواضح أنك جننت بالفعل، ماذا تقول أنت؟

تحدث ياسر بغضب وانفعال:

_أقول الحقيقة التي أخفيتها عني، أنت من قتلت أمي صحيح؟

جز كامل على أسنانه بضيق وقال:

_ماذا تقول يا غبي أصمت، أمك ماتت لأنها كانت مريضة!

رفع ياسر حاجبه يقول بسخرية:

_أو ليس عمي هو من تسبب في ذلك كما قلت لي؟؟

بلع كامل ريقه بتوتر وقال:

_هو تسبب نعم لكن.. لكن والدتك كانت مريضة.

اقترب منه ياسر وقال بابتسامة ظهرت مخيفة لأبيه:

_كانت مريضة نعم، لكن عندما عَلِمت بخططك القذرة قررت فَضْحك، لذلك قتلتها!

جاء كامل أن يتحدث فقاطعه ياسر وقال:

_لا تحاول الكذب عليَّ، أنا علمت كل شيء من الممرضة التي كانت تتابع حالة أمي، لذلك لا

تحاول.. لا تحاول أبدًا، لا أعرف كيف لي أن آمن لك بعد ذلك، لقد قتلت زوجتك وأخاك ووالدتك، المرة القادمة سأكون أنا الضحية أليس كذلك؟

تحرك كامل نحوه يقول بنبرة منخفضة:

_أصمت يا ياسر سيسمعنا أحدًا، أنت ابني سنعلم أين أوراق الأملاك ونأخذ كل شيء ونهاجر من هنا لا تقلق.

تحرك ياسر وجلس مقابل والده ووضع قدم فوق الأخرى وقال بنبرة خبيثة:

_ليس هناك داعي للتخطيط يا أبي، ليس هناك داعي أبدًا!

ثم نظر ياسر في ساعة يده وقال بنبرة حاقدة كارهة:

_كلها ثواني فقط وستودع تلك الحياة، حتى ترى أخاك ووالدتك، وزوجتك أيضًا ألم تشتاق لهم؟ وأنا سأخذ كل شيء وأتمتع به وحدي!

تحرك نحوه كامل وهو يبلع ريقه بخوف وقال:

_ماذا تقول يا ياسر، أنا بخير كيف تقول..هذا.. هذا الحديث؟!

ضحك ياسر بجنون وقال من بين ضحكاته:

_كيف لي أن أنسى هذا الأمر، أنا وضعت لك سم بهذا الشاي الذي شربته منذ قليل.

توقف ياسر وقال بكره:

_هذا حق والدتي التي قتلتها، وحق كل كذبك عليَّ، هل أنت تُفكر في أن تأخذ كل شيء وتضحك بهذه السهولة على ابنك؟ أعتذر منك أبي لكنني أذكى منك بمراحل، لا تقلق سأدفنك بنفس المكان الذي وضعت به البقية؛ حتى تشعر معهم بالونس ولا تكون بمفردك!

قبل أن ينطق كامل بحرف واحد ردًا عليه، شعر بألم شديد بمعدته فوقع وهو يقول بألم:

_لا تفعل بي هذا يا ابني، أرجوك أنقذني، أنا ل.. لم أضحك عليك، لا تتركني، لا تتركني أموت، ياسر اسمع.. اسمعني ابني..

أخذ يتألم بشدة، ويتلوى بالأرض، مرت دقائق قليلة وسكن بمكانه، فأخذ ياسر يتنفس عدة مرات بقوة ويزفرهم على مهل وهو ينظر له.

ابتعدت جميلة سريعًا وهي تضع يدها على فمها بصدمة وزعر، وتحركت تركض نحو غرفة والدتها برعب حتى تخبرها ما سمعت!

فتحت باب الغرفة وهي تقول بزعر:

_أمي قتلوهم، عمي قتل أبي، نعم وجدتي أيضًا، و ياسر، أمي ياسر قتل أبيه! ونحن سيقتلنا، يجب أن نهرب الآن، أمي لماذا تنظري لي هكذا ألم أخبرك بأننا يجب أن نهرب الآن!

تساقطت دمعة من عين والدتها وقالت بنبرة ضعيفة ومقهورة، حاولت أن تخفضها قدر الإمكان:

_أنا أعلم كل شيء جميلة، رأيت عمك وهو يقتل جدتك، عندما عاد لها صوتها أخبرته أنها ستفضحه وتخبر الشرطة بأنه قد قتل أخاه، لكنه قتلها، وعندما رأى أنني كنت أقف وأشاهده هددني، هددني بأنه سيقتلك أيضًا، وأنا خفت عليكِ لن أقدر على ذلك، لذلك لا تتحدثي، نحن سنهرب بالفعل لكن ليس الآن، ابن عمك متهور ومجنون ونحن لا نضمن ماذا سيفعل، لذلك انتظري حتى يغادر لأي مكان ذات مرة، وسنهرب من هنا حينها وسنذهب للشرطة ونخبرهم بكل شيء، لكن من هنا حتى نهرب أصمتي كأنك لا تعلمين شيئًا، نحن لا نعلم هل معه رجال آخرون أو أي أحد يساعده أم لا، فهمتي؟

هزت جميلة رأسها بصمت، تشعر أنها بدوامة لم ولن تنتهي، حتى أنها تشعر بنهايتها تقترب، هل سيكتب لهما الله النجاة؟ أم نهايتهما ستكون كالبقية!!

#عودة للوقت الحاضر!

أمسكت جميلة زجاجة المياة وسكبت القليل داخل الكوب، بعدها أمسكته وشربته كاملًا ثم وضعت الكوب مكانه، ونظرت للضابط تنتظر حديثه.

توقف الضابط عصام وتحرك داخل الغرفة بصمت، ثم عاد نحوها وقال:

_أين جثثهم؟ وكيف كان ينقلهم بهذه السرعة؟! كيف حدث كل هذا والشرطة بلا علم!! هناك شيء غير صحيح! ولماذا والدتك صمتت لماذا لم تبلغ؟! كانت الشرطة ستنقذكم!

هزت جميلة كتفيها تقول:

_أنا قلت الحقيقة، وقلت كل ما أعرفه، لا يجب أن تخبرنا بفعل شيء أنت لم تعش به، أنا وأمي كنا في حالة متدهورة، خائفتان، ومزعورتان، وهي أم خافت على ابنتها، علمت أن أخو زوجها قد قتل

أخاه وقتل أمه ليس من حقها أن تموت رعبًا ليس فقط تخاف؟!

تنهدت بقوة حتى تُهدأ من حالها ثم قالت:

_أمر نقلهم كان سهلًا للغاية سيحمل الجثة ومعه ابنه نحو غرفة المخزن ويضعوها في المكان السري، فقط!

ضم الضابط عصام حاجبيه وقال:

_عندما أتصل بي كريم وجئنا للمنزل، بالتحديد المكان السري هذا، لم نجد إلا.. والدتك فقط! أين البقية؟ وكيف حبسك وقتل والدتك؟

زفرت بقوة ثم قالت بصوت مختنق:

_بالأسفل هناك حائط كبير بالطوب الأحمر، أخفى ياسر خلفه الثلاث جثث!

تساقطت دمعه تلتها الأخرى وأكملت:

_عندما أخبرتني أمي أن أصمت، صمت بالفعل، ومر يومان كان هو قد أخفى جثة والده معهم، وقرر أنه سيسافر لفترة حتى يرتاح، وأخبر الجميع بما فيهم نحن، الغبي كان يفكر أننا لا زلنا لا نعلم شيء، أخبرنا بأنه خائف أن يموت ويختفي كالبقية لذا سيغادر من هنا، وسافر بالفعل، وقررنا أننا سنذهب نحو قسم الشرطة ونخبرهم، لكن كنا أغبى منه!

عاد الضابط يجلس مرة أخرى وقال:

_ماذا فعل؟

هزت جميلة كتفيها تقول:

_لا أعلم كيف دخل إلى المنزل، لقد خرج منه أمام عيناي وقال أنه سيسافر، لكن فجأة وجدته يخرج من غرفة المخزن، وهو كان قد أخبر الجميع بسفره، بعدها اقترب مني أنا وأمي، وهي ضمتني بخوف وكان بيده بخاخ صغير لا أعرف ماذا حدث لكن غبت أنا وأمي عن الوعي، وعندما استيقظنا كنا بهذا المكان الذي وجدتوني به، كنت أعتقد أننا

بمكان آخر بعيد، لكن بعد ذلك علمت منه أنه أسفل منزلنا، كان يربطنا بسلاسل من الحديد حتى لا نهرب ويأتي لنا كل فترة والثانية بطعام وشراب، وذات يوم جاء وأراد أن يعرف مني أين أوراق الأملاك، حاولت أن أخبره أنني بالفعل لا أعلم لكن هو كان غريب منذ عاد من سفره الأخير وجلس معنا مدة، ومع والده بالتحديد وهذه الأحداث التي مرت، لا أعرف لكن بداخلي كنت أشعر دائمًا أنه جن أو حدث شيء بعقله، كان غير متزن حقًا! فجأة هو..

صمتت وأخذت تتنفس بقوة وتتساقط منها العبرات، بعدها بدأت تتحدث وهي تبكي بانهيار:

_أخرج سكين وأخبرني إن لم أخبره سيقتلني، أمي أخذت تصرخ عليه أن يتركني وأنني لا أعرف، بعدها هددني بأمي إن لم أتحدث، لا أعرف ماذا كان عليّ أن أفعل أخبرته مرة ثانية بقصة الكتاب لكنه لم يصدقني، لم يصدقني أبدًا، لم أفهم ولم أستوعب أي شيء غير وأمي ملقاة أمامي والدماء تتناثر منها أمام عيناي!!

قطعت حديثها بعد هذه الجملة ووضعت يدها على وجهها وأخذت تبكي بشدة.

التفتت ونظرت نحو الظابط وقالت في انفعال أثناء بكائها:

_هي لم تفعل له شيئًا، كانت تصرخ وترجوه أن يتركني فقط، لكنه قتلها، قتلها أمام عيني بلا رحمة!

أشفق عليها الضابط فقال لها:

_أهدئي هي الآن بمكان أحسن بكثير من هنا، رحمها الله.

تنفست بقوة ورفعت يدها تزيل دموعها والتفتت نحوه وقالت:

_بعدها كان.. كان يأتي لي كل فترة والثانية، ويفعل أي شيء حتى اتحدث، ضرب و تعذيب وكل شيء، لكن لو أعلم كنت أخبرته لكنه لم يستمع لي، وعندما فقدت الأمل واستسلمت للموت الذي شعرت بأنه

قريب، وجدت هؤلاء الذين نزلوا لأسفل وبعدها وجدت نفسي هنا بالمستشفى.

أومأ لها الضابط عصام وقال بنبرة هادئة:

_سيعاقب ابن عمك على جميع أفعاله، سينال عقاب شديد، ادعِ أنتِ لأهلك جميعهم بالرحمة هذا نصيبهم، وعمرهم كان قد انتهى؛ لأن كل شيء مكتوب، وحمدًا لله على سلامتك مرة ثانية.

ابتسمت له بسمة لم تصل لعينيها وقالت بنبرة ضعيفة:

_شكرًا لك.

خرج الضابط عصام من الغرفة والشخص الذي كان معه، مددت هي على السرير بعدها وأغمضت عينيها وتنهدت بقوة.

****

فراشة رقيقة، تتحرك بفستانها الزهري وسط الخضرة والزهور الحمراء، بيدها مِنْضحة الزرع تسقيهم، وعلى وجهها ابتسامة هادئة، نظرت للأشجار والخضرة والورود وقالت بهمس:

_مرت سنتان كاملتان، لا أعرف كيف مرا ولا كيف عُدت للعيش بهذه الحياة مرة أخرى، لكن على كل حال أنا متأكدة بأن القادم ليس كله ميسر، بالتأكيد هناك عقبات ستواجهني لكنني تعلمت جيدًا أن الحياة ليست وردية!

تحركت نحو المنزل بخطوات متزنة، وصعدت درجات السلم متجهة نحو غرفة المكتبة، تحركت بداخلها وفتحت أغنية لأم كلثوم؛ وكأنها تستعيد ذكريات المكان حين كانت تجد جدتها هنا، جلست بمقعدها العريق وأمسكت كتاب جدها، وفتحته على صفحة معينة به، لتقرأ رسالة له من جميلة حبيبته كانت آخر رسالة أرسلتها له قبل زواجهم، ابتسمت بهدوء وهي تقرأ كلماتها له:

"التقيتك كثيرًا دون أن أراك، هل تعرف كيف؟!

بكل نظرة هائمة مني نحو السماء كنت أراك القمر،

بكل بسمة عابرة مني أثناء انشغالي كنت أراك بها، وكانت تلك البسمة لك.

منذ أصبحت المالك الوحيد لقلبي لم أرى غيرك،

مهما رحلت ومهما بَعُدت ومهما طال الغياب،

سيأتي يوم ويحدث القاء، لكن هذه المرة لن يكون بخيالي ككل مرة، ستكون حقيقة!"

ليتها كانت تعيش بهذا الزمن، زمن الرسائل المكتوبة والتي تُرسل بالبريد، لتستقبلها بشغف و فضول لمعرفة ما بداخلها، زمن كان يحمل جزءًا كبيرًا من البراءة والحب الصادق، لكن الزمان لا يعود، لا يعود للأسف!

قلبت صفحة أخرى وقرأت آخر رسالة من جدها لجميلته قبل زواجهم أيضًا، فقال فيها:

"تتلاقى الأرواح دومًا في لحظات عابرة، تمضي سريعًا مهما بلغت مدتها!

لحظات تُسرق من الزمن لتترك لنا أجمل الذكريات،

نتذكرها ونحن بمفردنا عندما يسرح الخيال،

أو يأتي مشهد يُذكرنا بها، أو عند سقوط الأمطار، أو على ألحان عبدالوهاب، أو على رائحة عطر تمر سريعًا تلتقطها الأنف عندما تشعر بالألفة تجاهها،

ليس المهم بأي وقت أو بأي مكان، لكن المهم هو اللحظة التي لا تتكرر وتترك بنا هذا الأثر الذي لا يُنسى!"

أغلقت الكتاب وهي تستنشق الهواء بقوة، مررت أصابعها على حروف اسم الكتاب "شجرة شاكر باشا"، وضعته مكانه فوق الطاولة، وتحركت لتنزل نحو الأسفل فبعد حوالي ساعتين، ستأتي ملك ومعها

أروى، هاتان الفتاتان اللتان لم يتركوها من بعد ما حدث، وأصبحن أصدقاء لها لتستأنس بهن.

توقفت في منتصف الغرفة وعادت سريعًا نحو الكتاب مرة أخرى، قرأت اسمه مرتين بهمس، وعقلها ذهب لصفحة ما قرأتها سابقًا فقلبت الصفحات سريعًا حتى وصلت لها، مررت عينيها على الكلمات وبعدها قالت وهي ترمش بعينيها:

_جدي يقول أنها عندما كانت تحزن منه بعد مشاجراتهم، كانت تصعد نحو غرفة المكتبة وتذهب لمكان سري بها مميز خصصه لمفاجأتها!
و...لحظة!

قلبت صفحات الكتاب مرة أخرى واستقرت على كلماته عن اللغز، وأنها ستحل اللغز عندما تحتاج إليه! وصمم المكتبة لغرضين الأول لحبيبته، والثاني ماذا؟؟

جلست على الكرسي تفكر لدقائق بعدها قالت:

_ما علاقة اسم الكتاب بما به؟ وما هو اللغز؟ هل هو الوصول لمعرفة أين الأوراق والأملاك! ما علاقة اللغز بالمكتبة؟!

توقفت تدور بالغرفة وهي تهمس:

_المكتبة بها مكان سري، جدي فعله لحبيبته، لكنه غير موجود الآن؟!

تنهدت وزفرت بضيق ثم قالت بتفكير:

_أو غير ظاهر الآن!!

جلست مرة أخرى ووضعت يدها على رأسها تحاول فهم كل هذا، بعدها تذكرت جملة لجدها قرأتها في نهاية الكتاب، قال بها:

" عندما نجمع الخيوط، ونقربها من بعضها البعض، دائمًا هناك خيط أخير يكون هو الأصعب في الوصول له، وتبقى الحقيقة مخفية منتظرة هذا الخيط الأخير، لكن عندما نفكر بطريقة صحيحة

نجده الأسهل فيهم للوصول له، لكننا كنا نفكر في إتجاه خاطئ وبعيد عنه، فقط نحتاج لِأن نُقرب المسافات ونبدأ من البداية، من البداية تمامًا! من أول لمسة للكتاب المبهم، وقراءة عنوانه بتعجب شديد! حتى نربط عنوانه هذا بما يحوي بداخله بعد قرأته في النهاية، حينها فقط نستطيع حل اللغز بسهولة ويُسر! "

توقفت منتفضة تقول بذهول:

_لحظة! شجرة شاكر باشا؟! جدي يقصد هذه الشجرة التي بناها هو وحبيبته! التي تتوسط الشجرتين الصغيرتين الواقعتين خلف المنزل؟!

وضعت يدها على فمها بصدمة وانبهار لو تفكيرها صحيح فهي علمت الحقيقة بالفعل! فقالت:

_جدي فعل المكان السري داخل هذه الشجرة الضخمة؟؟ لكن كيف من غرفة المكتبة، هي.. نعم هي ملاصقة لغرفة المكتبة من الخارج، لكن كيف من الداخل؟

انتفضت مكانها تقول بنبرة عالية ودهشة:

_الكتاااب!

تحركت سريعًا نحو المكتبة وصعدت على السلم الخشبي، حتى وصلت للمكان الذي أخذت منه الكتاب سابقًا عندما أخبرتها جدتها به، أخذت تقلب بين الكتب سريعًا، تتذكر أنها عندما سحبت الكتاب كان هناك شيء يلمع خلفه لونه أخضر يشبه الزر الصغير لكنها فكرت حينها أنه للزينة فقط!

لمعت عيناها عندما رأته، وقلبها كان يتسارع دقاته، معقولة ستصل للحقيقة بعد كل ما حدث، والآن؟!

مدت يدها وضغطت على الزر بحماس، لتجد فجأة جزء من المكتبة ينشق، ويتراجع للخلف، ليكشف عما يوجد خلفه!

نزلت من على السلم سريعًا، وتحركت نحو هذا المكان الداخلي، عيناها على كل شيء بنظرة انبهار، رفعت رأسها تدور بعينيها عليه من الأعلى، المكان حقًا داخل تلك الشجرة! السقف كان أشبه بنصف دائرة فتحتها لأسفل، الجدران ألوانها بنية ك لون خشب الشجرة تمامًا، ثمة فروع زينة تتدلى وتلمع بإضاءة خضراء هادئة، حولها في هذا المكان عدة أماكن للجلوس مصنوعين على هيئة أفرع شجر صناعية مقعرة الشكل؛ لتناسب الجالسين فوقها، تحركت نحو أحدهم وجلست فوقه وهي تبتسم بانبهار المكان مدهش حقًا!!

لمحت وهي تجلس لوحة أعلى الحائط يظهر عليها القدم لكنها كانت داخل إطار، صُنع على هيئة شجرة بها رسمة لفتاة جميلة، هي بالفعل جميلة! تحركت نحو الرسمة ولمستها بيدها، تلك بالتأكيد هي الرسمة التي رسمها جدها لحبيبته، رائعة رغم أثر الزمن الذي مر عليها!

لاحظت أسفل اللوحة فرع شجرة صناعي يميل فوق جزء من الحائط، يتبين لها أن هذا الجزء مفرغ ودائري الشكل، سحبت الفرع لأسفل قليلًا لتجد بهذا الفراغ الدائري صندوق متوسط الحجم، سحبته بأصابع مرتعشة، تحركت بعدها وجلست على أحد هؤلاء الأفرع الصناعية، بدأت تفتح الصندوق ببطء، نظرت لما بداخله بأعين مفتوحة على وسعها، فقالت بهمس وانبهار:

_كل هذه المجهورات هنا؟ وأوراق كثيرة، بالتأكيد خاصة بالمنزل وبقية الأملاك، وعدة جوابات صغيرة!

نظرت أمامها وقالت بتنهيدة وهمس:

_ماذا كان سيحدث إن كنت قد توصلت لهم قبل كل ما حدث؟! كانت ستكون عائلتي معي الآن؟؟

زفرت ثم قالت بأسف:

_هذا نصيبهم، وعمرهم حقًا، الحمد لله.

****

فتحت الشباك على مصرعيه؛ لتدعو الهواء للداخل، استنشقت الهواء بعمق وهناك ابتسامة هادئة على شفتيها، وملامح الارتياح بادية على وجهها، حلمت اليوم بوالديها وكانوا سعيدين للغاية، يقفان وسط الزرع الأخضر، وتحدثوا معها كثيرًا ودعوا لها براحة البال وضموها بحنان حتى استيقظت.

تحركت نحو سريرها وجلست على أطرافه، ثم سحبت دفترها من فوق المنضدة المجاورة للفراش، وأمسكت القلم وبدأت تدون الآتي:

"هل الحياة ليست عادلة أم نحن غير واعِين بشكل كافٍ!

وهل كل واحد منّا ملزوم بضغط معين في حياته؟

لما الحياة لا تسير بشكل هادئ ومريح!

لماذا دائمًا هناك ألم أو خوف أو تعب أو فقد أو فراق..إلخ!

وقد يجتمعوا فيصبح ضغط أكبر من مضاعف!

لماذا ليس دائمًا نهاية كل اجتهاد نتيجة! وكل سعي وصول؟

منذ صغرنا اعتدنا على مقولة، كانت دائمًا تدون في ظهر كتبنا الدراسية وهي:

"من جد وجد، ومن زرع حصد"

وكبرنا ونحن نؤمن بها ونسعى وراء أحلامنا، حتى يصدمنا الواقع المرير بحقيقته!

في سورة البلد آية تقول:

"لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي كَبَدٍ"

هنا فقط نتوقف مع الحقيقة التامة، هذه دار بلاء، دار اختبار، والنتيجة ليست هنا، وكل نتيجة مهما بلغت علوها، ستظل ليست النتيجة النهائية!

إذن أنا أعترف أن الحياة ليس لها دخل، هي عادلة بشكل كافٍ للعيش، لكن مع الواعِين للحقيقة فقط!

جميلة الزيّاد".